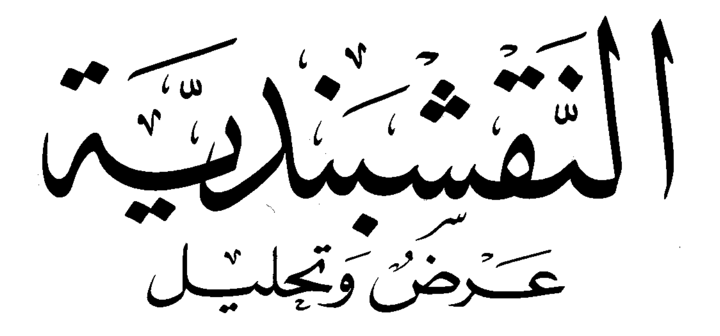
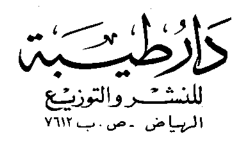
دراسات عن التصوف

١



تأليف

عبد الرحمن دمشقية



الطبعة الاولى
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وصحبه
وبعد . .

فقد قرأت هذا البحث الذي ألفه أخونا المحب عبد الرحمن دمشقية فيما يتعلق بالطريقة النقشبندية فألفيته بحثاً وافياً بالمقصود وقد أعطى المقام حقه وأوضح هذا المذهب الصوفي وما علق به من البدع والخرافات والإنحرافات الزائغة وبيّن بعده الشاسع عن السنة وعن العقيدة السلفية وقد اعتمد في بيانه على المراجع الصحيحة وأوضح أماكن النقول وطبعات تلك الكتب ودعم ما يقوله بالأدلة الثابتة الواضحة الدلالة من الكتاب والسنة مع بيان دلالتها فجاء بحثاً كافياً قاطعاً للمنازع لمن قرأه بإمعان وإنصاف وابتعد عن الهوى والتعصب.

فجزى الله الباحث خير الجزاء وأثابه على سعيه وأعانه لمثل هذه الكتابات التي يتصدى بها لدحض شبهات قد فشت وتمكنت في كثير من البلاد الإسلامية وكثر معتنقوها وانخدع بها جماهير العوام معتقدين أنها عين الصواب وأن صريح السنة والتوحيد هو الشرك والضلال فنسأل الله أن يرد ضال المسلمين إلى الهدى وأن ينفع بهذا البحث كأمثاله.
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

عبد الله عبد الرحمن الجبرين
عضو افتاء

عبدالله عبدالرحمن الجبرين

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الحق، فأدى الأمانة وبلغ الرسالة وأشهد الناس على تمام ذلك فشهدوا، فلم يعد هناك من عذر ولا حجة للعباد عند ربهم، إذ أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تركنا على البيضاء لا غموض فيها ولا لغز. فقال: «قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[1] فما من شيء يقربنا إلى الجنة إلا وقد أمرنا به، وما من شيء يقربنا إلى النار إلا نهانا عنه، فجزاه الله عنا خير ما يجزى نبي عن أمته.

أما بعد: فإن لهذا الموضوع أهمية كبيرة عندي، إذ أن الكلام قد كثر في الآونة الأخيرة عن الطريقة النقشبندية ومدى صلتها بالسنة المطهرة.

وقد علمت أن خلافاً قد وقع بين أناس كثيرين فيها، فمنهم من يزعم أنها طريقة سنية تتحرى السنة في كل شأن. فأورادها وأذكارها مأخوذة من السنة المطهرة. ومنهم من يرى أنها طائفة قد ابتدعت أوراداً وأحزاباً كطريقة الذكر الخفي وختم «الخواجكان» وأنه لا صلة لهذه المبتدعات بالسنة.

ونحن نوضح حقيقة هذه الطريقة والمبادىء القائمة بها، ونسأل الله العون على ذلك.

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٣٥) والحاكم ١/ ٩٦، واللالكائي في السنن ١/ ٧٤.

تمهيد

أرجو من القارىء الكريم أن يستحضر طيلة فترة قراءته لهذا الكتاب، ثلاثة أقوال لثلاثة رجال كبار في هذه الطائفة يدافعون فيها عن أصل هذه الطريقة فيقولون بأنها سنية الأصل لا بدعة فيها والأقوال هي:

١ ـ يقول الشيخ محمد أمين الكردي (صاحب كتاب تنوير القلوب): «إن طريق السادة النقشبندية هو معتقد أهل السنة والجماعة وهي طريقة الصحابة رضي الله عنهم على أصلها، لم يزيدوا فيها ولم ينقصوا منها[١]

٢ ـ ويقول يس بن إبراهيم السنهوتي: «إعلم أن الطريقة العلية النقشبندية قدس الله اسرار سراتها الندية، هي طريقة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على أصلها، لم يزيدوا فيها ولم ينقصوا منها[٢]

٣ ـ ويقول الشيخ محمد بارسا (أحد أجلاء أصحاب الشيخ نقشبند) في كتابه فصل الخطاب أن طريق الخواجة (يعني بذلك الشيخ نقشبند) حجة على جميع الطرق ومقبولة لديهم، لأنه كان سالكا «طريق الصدق والوفا ومتابعة الشرع وسنة المصطفى ﷺ ومجانبة البدع ومخالفة الهوى».[٣]

المواهب السرمدية ٣.

الأنوار القدسية ٥.

المواهب السرمدية ٧٧.

ونريد في هذا البحث أن نتبين واقعية هذه الأقوال، فبتمحيصها يتبين مدى صدقها. والمرجو من القارىء الكريم إبقاء هذه الأقوال في ذهنه، ليقارن بها سلوكهم وواقعهم المفصل في هذا الباب كي يتجلى له الحق، وليعلم: هل كان الشيخ نقشبند مجانباً للبدعة متابعاً للشرع وسنة المصطفى ﷺ؟ سنعلم ذلك إن شاء الله.

عبد الرحمن دمشقية

كَلمة وَجيزة عن النقشبندية اليوم

النقشبندية اليوم، هي نقشبندية الأمس لم تتغير، ولذلك فما فصلناه عن النقشبندية يدخل في نطاق ما هي عليه اليوم.

ولكن، بين يدي مقالتان لأحد النقشبنديين هما بعنوان
١ ـ إقامة الحجة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة.
٢ ـ الخطر من محاربة الأولياء والتعريف بالمرشد الكامل.

أما المقالة الأولى فقد أراد أن يثبت فيها جواز الإكثار من التعبد، وعدم ثبوت شي ما يدل على النهي عن ذلك، وأنه لا حدود في فعل العبادات.

والجواب بأن العبادة أمر مشروع ومستحسن ـ هذا من جهة النوافل ـ أما الفروض فحكمها واجب. لكن فتح باب الإكثار على إطلاقه وبدون ضابط يضبطه (وهو الشرع) فالثابت في الصحيح على عكس ما يذكره المؤلف، إذ قد جاء في الأحاديث الصحيحة النهي عن الإكثار من التعبد، والتعبد لله عز وجل لا يصح إلا بما شرع هو سبحانه مثال ذلك:

فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن صيام الدهر ـ أي المداومة على الصيام ـ مع أن الصيام أمر تعبدي، والعبادة ليست ببدعة لكن مواصلة الصوم فيه مخالفة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم فقد قال عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم: «لا صام من صام الأبد

(مرتين)» .[1] فهذه العبادة منهي عن الوصال فيها، أما ما نقله الكاتب عن صاحب الحلية عن عثمان رضي الله عنه أنه كان يصوم الدهر فلا صحة في نسبة ذلك إليه إذ الصحابة أحرص على اتباع السنة مما يرويه عنهم امثال هؤلاء. وفي الحلية من الموضوعات ما لا حصر له. وكذلك ذكر صاحب المقال أن أبا حنيفة رحمه الله كان يقرأ القرآن في ركعتين، ولست أعلم صحة نسبة ذلك إليه، لكني أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن قراءة القرآن في أقل من ثلاثة أيام وأمره أن يقرأه في أسبوع فقال له: «واقرأ القرآن في كل شهر قال: قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال فاقرأه عن كل عشرين قال: قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فاقرأه في كل عشر قال: قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فاقرأه على سبع ولا تزد على ذلك فإن لزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً» .[2]

وكذلك نهى عثمان بن مظعون عن تركه لنسائه وتبتله في شعب له، فقال: «يا عثمان إني لم أؤمر بالرهبانية، أرغبت عن سنتي؟»[3]. وفي رواية: «يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا، أفما لك أسوة فيّ؟» .

وقد ورد حديث أشمل وأعم من الحديثين السابقين يبين للقارىء الكريم مخالفة صاحب المقالة لهدي النبوة وتعاليمها السمحة.

فقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال:

«جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم؟ يسألون عن

(١) أخرجه البخاري ٢/ ٢٤٦ كتاب الصوم، ومسلم (١٨٦) والدارمي ٢/ ١٨ وأبو داود في الصحيح ص ٣٨٠ وابن ماجة (١٧٠٨) باب ما جاء في صيام الدهر، ومالك في الموطأ ١/ ٣٠٠ - ٣٠١ بلفظ آخر.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢) والبخاري ٦/ ١١٣ في فضائل القرآن، والنسائي ١/ ٣٢٥.

(٣) أخرجه الدارمي في سننه ٢/ ١٣٣ باب النهي عن التبتل، وأبو داود (١٣٦٩).

عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالّوها[1] فقالوا: وأين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقال أحدهم: أما أنا، فأنا أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»[2].

هذه هي سنة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وجدها هؤلاء «المكثرون من العبادات» قليلة. وها هو عبدالله بن عمرو بن العاص يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: صم يوماً وأفطر يوماً، فيقول: إني أطيق أكثر من هذا فيقول له: «لا أفضل من هذا».

إن للعبادة حواجز وجدر قد وضعت بتشريع رب العباد، لا يجوز تخطيها ومجاوزتها بحجة الإكثار من الخير، وكم يوقع هذا الخبيث الناس في الشر بأن يأتيهم من باب الخير، فقد يأتي الشيطان المصلي فيذكره بعمل خير كأن يبادر فور انتهائه من صلاته ليتصدق على فلان، فيشغله طيلة صلاته عن أدائها بتمامها، وكذلك تلبيسه على العباد في الاكثار من العبادة. ولو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواصلة العبادة كالصيام ونحوه خيراً لما قال لعبد الله بن عمرو «لا أفضل من هذا» وكفى بهذه الأحاديث دليلاً على بطلان قول صاحب المقالة، إن التشريع الرباني أمانة من الله عندنا وهبه لنا لنسير عليه لا لنتصرف فيه ونستحسن إدخال التعديلات والإضافات عليه، فدين الله أمانة في أعناقنا، والعبث فيه

(١) وجدوها قليلة.

(٢) البخاري ٦/ ١١٦ كتاب النكاح ومسلم (١٤٠١) والبيهقي في السنن ٧/ ٧٧ وأحمد في المسند ٣/ ٢٨٥.

بإعمال الزيادات تضييع لهذه الأمانة واستهانة بها. وما أجمل قول ابن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم» وحسبنا قليل نتبعه خير من كثير نبتدعه.

أما المقالة الثانية ذات العنوان التالي: الخطر من محاربة الأولياء والتعريف بالمرشد الكامل. فانه يدعو فيها الى التمسك بالأولياء «والعض على سيرتهم بالنواجذ» لأن الله قد اختصهم من بين عباده بالنعم العظيمة والفيوضات النورانية الخ..

وقد جعل قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» [التوبة ١١٩] شاهدا لأولئك الأولياء بأنهم من الصادقين. والظاهر انه نداء عاجل الى الناس ليقبلوا على شيخ صاحب المقالة: وهو الشيخ عثمان سراج الدين، وهذا هو الصحيح فقد زينت المقالة بصورة هذا الشيخ، وطال الحديث عنه في مؤخرتها.

فقوله بأن على الأمة التمسك بهؤلاء الرجال والعض على سيرتهم بالنواجذ هو دعوة الى رجال وليس دعوة الى الدين الحنيف، إذ كان الأولى بصاحب المقالة ان يدعو الى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ونبذ ما سواهما من البدع والمخالفات التي وقع فيها المسلمون، لكنه لم يتكلم في شيء من النهي عن البدع والابتداع في الدين لان الطائفة النقشبندية محشوة بالبدع والخرافات والدعوة الى فناء شخص العباد بذات ربهم حتى يقول الواحد فيهم «أنا الحق» والحقيقة انهم يدعون الى الاكثار من الذكر لاليحصل الوجل في قلوبهم وانما ليفنوا (بزعمهم) عن السوى والغير فيصبحوا هم (هو) أي يصبحوا هم وربهم شيئاً واحداً، ونرجو تتبع فصل عقيدة الفناء ليتأكد القارىء من ذلك اما جعل الشيخ عثمان سراج الدين ممن قال الله فيهم «وكونوا مع الصادقين» ففي ذلك نظر، إذ كيف يكون هذا الشيخ من الصادقين وهو يوزع على الناس «حجابات» فيها رموز

عبرية وأرقام مختلفة ضمن مربعات كثيرة، ونجوم أشبه بنجمة داود. من أين له هذه الطلاسم؟ أمن وصية من رسول الله؟ أم أن هذا ما كان يستشفى به الصحابة والتابعون لهم بإحسان؟

كيف يكون أمثال هذا «من الصادقين» وهو يعلق التمائم في صدور الناس باسم «الحجاب» ويقول بأنها من كلام الله فقط ؟ فهذا غير صحيح لأن من يطلع على الحجاب يرى فيه العجب (انظره على الصفحة المقابلة) ومن من الائمة فعل هذا، أكان الشافعي يوزع على الناس هذا النوع من الحجاب أم كان ابوحنيفة ومالك واحمد وغيرهم وهم من « أصدق الصادقين وأولى الأولياء» يقبعون في بيوتهم ويوزعون هذه التمائم على صدور الناس؟

أولم يقل رسول الله ﷺ :«من علق تميمة فقد أشرك». [١]
ألم يقل : «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» [٢]

وهذا الشيخ عثمان قد أتى الى الرياض ووزع هذه «الحجابات» على الكثيرين حتى انخدع بها كثير من الناس، وقد نصحناهم بفتحها فوجدوها مطابقة لهذا «الحجاب» الذي وضعنا صورة عنه في الصفحة المقابلة.

فهل كان تعليق هذه المعلقات من فعل الذين قال الله عنهم بأنهم من الصادقين؟ أم أنها من السحر؟ . . والسحر ليس من صفات الصدق ولا من شيم الصادقين !

إن الشيخ لم يلق محاضرات في السعودية عن الاسلام، ولم يجمع الناس على حلقات العلم والفقه، لكنه جمعهم على الاستغاثة والتبرك به والحصول منه على هذه المعلقات الشركية. بحجة التبرك والتمسح به

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٥٦، والحاكم ٤/ ٣٨٤ وصححه.
(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٨٣) باب تعليق التمائم، وابن ماجة (٣٥٧٦) وأحمد ١/ ٣٨١.

والوساطة بين الناس وبين ربهم.

فالصادقون الذين أمرنا الله ان نكون معهم، هم الذين يدعون الناس الى الكتاب والسنة، ويطبقون ذلك على انفسهم، لاكمن يزعم اتباع الكتاب والسنة ثم يوزع للناس ماقال عنه رسول الله ﷺ بأنه من الشرك!

هذا ما رأينا أن نقوله، وقد وجب علينا ان نحذر الناس منه، ومن حجاباته التي يعلقها على صدور الناس، وماسيراه القارىء في الصفحة التالية هو خير دليل على حقيقة ما نحذر منه، وإني أسأل الله ان يبصرنا بالحقائق فلا نداقع عما تميل انفسنا إليه، بل ندافع عن الكتاب والسنة أولا، ولا نغضب الا لله عز وجل وحده، لا لطائفة ولا لرجل ولا شيخ لأن تفضيل الكتاب والسنة على اتباع الرجال هو من علامات الهدى، والله يهدنا سواء السبيل.

إنني أود قبل دخولي في هذا الموضوع، أن أشير الى أنني قد اعتمدت على عدة كتب عن النقشبندية، هي عند القوم من أمهات الكتب الشارحة والمفصلة لهذه الطريقة، ألا وهي:

١ ـ المواهب السرمدية في مناقب السادة النقشبندية: الشيخ محمد امين الكردي
٢ ـ تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب: الشيخ محمد امين الكردي
٣ ـ شفاء العليل ترجمة القول الجميل : الشيخ ولي الله الدهلوي
٤ ـ الأنوار القدسية في مناقب النقشبندية: الشيخ يس ابراهيم السنهوتي
٥ ـ جامع كرامات الأولياء :يوسف بن اسماعيل النبهاني
٦ ـ ترجمة الشيخ محمد الحامد : عبدالحميد طهماز
٧ ـ لواقح الأنوار (المسمى بالطبقات الكبرى) : عبدالوهاب الشعراني

٨	١١	[illegible]	١
[illegible]	٢	٧	١٢
٣	[illegible]	٩	٦
١٠	٥	٤	[illegible]

هذا هو الحجاب الذي كان يعلقه الشيخ عثمان سراج الدين «غوث» و«مدد» النقشبنديين على صدور الناس، ومن أمعن النظر في هذه النجوم والرموز العبرية، اتضح له منافاة ذلك للسنة النبوية، واتضح له بطلان زعمهم أنهم لا يتعدون السنة إلى غيرها.

وأكثر الكتب اعتماداً عند النقشبندية ـ وبخاصة المعاصرين منهم ـ هي كتب الشيخ محمد امين الكردي ولذلك فقد كانت اكثر المراجع اهتماماً عندي.

ولو لم أعتمد إلا على كتاب «تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب» لكفاني ذاك لأنه الكتاب المعتمد لدى هذه الطائفة الى يومنا هذا.

إنني لم أكتب رسالتي هذه إرضاءً لأحد أو إغضاباً لأحد، بل وإنما إرضاءً لله تعالى أولاً، وتبينياً للحق ثانياً.

وليست الأولوية عندي التهجم على هذه الطائفة لغرض شخصي، وإنما الأولوية عندي إعطاء هذا الدين حقه، وهو أغلى عندي من أي كان، فليست القضية قضية هجوم على فئة، وإنما هي دفاع عن دين اسيء فهمه، فأردت تصحيح ذلك.

وليس بحثي عبارة عن محكمة، بقدر ماهو دعوة الى الاخوان للانتباه الى الخطأ وتجنب الوقوع فيه، ففي طائفة «النقشبندية» أناس تربطني بهم زمالة، أرجو أن يعذروني ويقدروا عملي هذا، وينظروا الى الكتاب بعين الانصاف والاعتدال، لأنني لا أريد تجريحهم إذ كلنا ذاك الرجل الخطاء، ولكن خيرنا من تنبه الى خطئة وحاول التخلص منه. ولا يعني كتابي هذا اخراج كل من اصحاب هذه الطائفة عن ملة الاسلام، فهذا ليس من منهجي، وإنما مرادي التنبيه على الزلات ـ لاكشف العورات وتتبع العيوب، لكني لا أرضى ان يؤتى بأفكار دخيلة على الاسلام ثم يقال بأنها هي من صميمه، وهذه العلة هي من أهم دواعي كتابتي لهذا البحث، وسيرى القارىء الكريم مدى صدقي فيما أقول.

وإنني أحذرهم من الغضب لما هم عليه، لا لله، إذ أن الغضب

والمحبة والبغض لايكون إلا لله لا للنفس وهذا من أسس معتقد أهل السنة.

فربما كان الغضب مكيدة شيطانية يصد بها الناس عن الاستماع لدعوة الحق والغضب لايساعد على تحري الحق، ولا يوصل الى الانصاف.

فمن كان غضبه لله فلن يغضب من كتابة هذا الكتاب لأنه متبع للسنة بالدليل والحجة.

ومن كان غضبه لنفسه وطائفته فلا يعوزه مائة الف دليل وخمسين حجة وهو الى الهوى أقرب والله المستعان ولا حول ولاقوة إلا بالله.

طريقة الذكر لدى النقشبندية

من أصول الذكر عند النقشبنديين ترك الذكر باللسان وتفضيل الذكر بالقلب بدلا منه، فصاحب تنوير القلوب لايعجبه كثرة الأذكار اللسانية والأوراد الظاهرية»[١] وهذه بدعة لانص عليها من كتاب ولا سنة، وإنما فيهما ما هو عكس ذلك:

فعن عبدالله بن بسر رضي الله عنه ان رجلاً قال: يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبث به قال: لايزال لسانك رطباً من ذكر الله».[٢]

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «إن الله عز وجل يقول : أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه».[٣]

وقال كذلك صلوات الله وسلامه عليه: «ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة».[٤]

---

(١) تنوير القلوب ٤٤ (ترجمة المؤلف).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٧٢) وقال حديث حسن، وأخرجه أحمد ٤/ ١٨٨، وصححه ابن حبان (٢٣١٧) والحاكم ١/ ٤٩٥ ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن ماجة (٣٨٣٨) باب رقم (٥٣) الادب.

(٣) أخرجه البخاري ٨/ ٢٠٨ كتاب التوحيد، وابن ماجة ح (٣٨٣٧) باب رقم (٥٣) وابن حبان في صحيحه من طريق أيوب بن سويد عن الأوزاعي به.

(٤) أخرجه ابن ماجة (١٨٦١) باب فضل النساء (٥) والترمذي (٣٠٩٤) وأحمد ٥/ ٢٧٨، راجعه في صحيح الجامع الصغير للألباني رقم (٥٢٣١) وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٢١٧٦).

فما في السنة مايفيد كراهية الذكر باللسان، أو تخصيص القلب بالذكر دون ذلك. أما تخصيص ذلك بالقلب دون اللسان، وابتداع طريقة لذكر القلب تسمى بطريقة الذكر «بالنفي والاثبات» فهو بدعة ينبغي العودة عنها، لأن الشرع موقوف على الشارع لاعلى الشاه نقشبند ولا على مؤسس الطريقة «الغجدواني».

فما شرعه الله لنا في كتابه او في سنة نبيه فعلناه وما لم فلا نتبعه. ولن يعترض على كلامنا كل حريص على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله.

اما مصدر هذه الطريقة المعروفة باسم «الذكر بالنفي والإثبات»، فله قصة موجودة في الكتب الحاكية عن النقشبندية، وسنوردها إن شاء الله.

«كان الشيخ عبدالقادر الغجدواني يقرأ القرآن عند الشيخ صدر الدين، فوصل الى قوله تعالى: «ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لايحب المعتدين» [الأعراف ٥٦] قال للشيخ: ما حقيقة الذكر الخفي وكيف طريقته؟ فان العبد إذا ذكر بالجهر وبتحريك الأعضاء يطلع الناس عليه، وإن ذكر بالقلب فالشيطان يطلع عليه لقوله ﷺ: ان الشيطان ليجري من إبن آدم مجرى الدم في العروق، فقال الشيخ إن هذا علم «لدني» وإن شاء الله تعالى يجمعك الله على أحد من أوليائه فيلقنك الذكر الخفي... فكان ينتظر وقوع هذه البشارة حتى جاء الخضر عليه السلام إليه ولقنه الوقوف العددي والذكر الخفي، وهو أن ينغمس في الماء ويذكر بقلبه « لا اله الا الله محمد رسول الله «فحصل له الفتح العظيم والجذبة القيومية». [1]

أرى ان هذه قصة مصوغة لتأتي كتعليل لهذه البدعة المسماة «ذكرا خفيا».

---

(١) المواهب السرمدية ٧٧، الأنوار القدسية ١١١ - ١١٢.

إذ أن مصدر التشريع عند المسلمين هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وليس الخضر نبي هذه الأمة والمشرع لها وما أكثر ما استغل الصوفية شخصية الخضر وابتدعوا حوله الاقاصيص. ولو أن نبياً من الأنبياء غير محمد ﷺ أتانا واتبعناه لضللنا فكيف بمن هو دونه؟

فقد قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لو كان موسى بين أظهركم ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ضلالاً بعيداً، أنتم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين». (١)

فلا يجوز أخذ طريقة عن الخضر ولا عن موسى ولا عن عيسى ولا عن نبي من الأنبياء لأن دين هذه الأمة مقيد بالكتاب وسنة محمد ﷺ لايفك هذا القيد نبي ولا ولي.

والذكر مع الإنغماس في الماء ليس دين الانبياء وإنما هو رياضات «اليوغا» الهندية، فيجب تنزيه الخضر عن هذه الخرافات والكذب بنسبتها إليه.

أما قوله تعالى: «أدعوا ربكم تضرعا وخفية» فلا يعني ذلك تعطيل التلفظ بالدعاء وقصره على القلب دون اللسان، لأنه ليس معنى «الخفية» هنا منع اللسان من الذكر، وإنما نزلت هذه الآية لمنع الصياح ورفع الصوت في الدعاء.

فالغالب على رفع الصوت والجهر بالدعاء الرياء . وحتى لو كان المرء منفرداً بدعائه فإنه لا ينبغي له رفع الصوت والصياح بالدعاء، لأن هذا يمنع حصول الاستكانة والتذلل الى الله تعالى، وخفضه أقرب الى حسن التفكر والتأمل.

(١) أخرجه الدارمي ١/ ١١٥ - ١١٦، وابن عبد البر ٢/ ٤٢ جامع بيان العلم، وأحمد ٣/ ٣٨٧.

قال ابن جريج: «يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء ويؤمر بالتضرع والاستكانة». [1]

وروى ابن جرير الطبري عقب هذه الآية: عن ابي موسى: قوله (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) قال: كان النبي ﷺ في غزاة فأشرفوا على وادٍ يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم فقال: أيها الناس إربعوا على انفسكم، إنكم لا تدعون اصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم». [2]

وقد أورد مسلم هذا الحديث في باب: استحباب خفض الصوت بالذكر، ولم يقل باب تفضيل ذكر القلب على اللسان ! وإنما المراد خفض الصوت بالدعاء، ولذلك قال تعالى في آية أخرى«واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخفية ودون الجهر من القول بالغدوّ والآصال». [الأعراف ٢٠٥].

وخيفة

[٢٠٥

وهذا هو المراد، وهو أن يكون الدعاء «دون الجهر من القول» فإنه ادعى الى حصول الخشوع والسكينة والطمأنينة.

قال الطبري: «ودون الجهر من القول»: ودعاء باللسان لله في خفاء لاجهار.

وقال النسفي: «ودون الجهر من القول»: ومتكلماً كلاماً دون الجهر، لأن الإخفاء أدخل في الاخلاص وأقرب الى حسن التفكير» [3]، فلم يفهم من ذلك أبداً إسكات لسان الفم وإطلاق مايزعمونه بـ» لسان

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٢١، الطبري ٨/ ١٤٧.
(٢) الطبري ٨/ ١٤٧، وهذا الحديث أخرجه البخاري ٧/ ١٦٢ كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٠٤).
(٣) الطبري ٩/ ١١٣، النسفي ٢/ ٩٢/ ١.

القلب و إنما فهم من تلك الاية خفض الصوت وقوله تعالى «ودون الجهر من القول» لم يمنع القول وإنما منع الجهر به. وهذه البدعة (أعني بدعة الذكر الخفي) قد رتبت لها آداب وأركان ومستحبات منها: صلاة ركعتين - الجلوس متوركاً بعكس جلوس الصلاة - استقبال القبلة - تغميض العينين - الاستغفار خمساً وعشرين مرة - قراءة الفاتحة وإهداء ثوابها الى النبي ﷺ والى مشايخ الطرق خصوصاً «النقشبندية». حفظ صورة الشيخ في خيال الذاكر واستمداد البركة منه بالقلب وعندئذ يقول: (إلهي انت مقصودي ورضاك مطلوبي)، والعجيب في ذلك انه ينادي ربه مع أنه يركز تركيزاً تاماً على وضع صورة الشيخ في المخيلة، فلمن يكون الدعاء والنداء لله أم للشيخ، وكيف يتم الاخلاص في الدعاء لله تعالى، مع ان الشيخ يشارك الله في وجهة الذاكر ويستحوذ على مخيلة صاحب الدعاء؟، ونتابع تشريع الذكر الخفي:

ثم تلصق الاسنان بالأسنان والشفة بالشفة واللسان بسقف الفم،... ثم تقول (إلهي انت مقصودي ورضاك مطلوبي) واحد وعشرين مرة «في نفس واحد»[1].

إنهم يضعون اللسان في سقف الفم حرصاً على عدم تحريكه في الذكر، وقد استغنوا عنه لأن للقلب عندهم لسان، فلا حاجة بهم الى لسان الفم.

يقول الشيخ محمد مصطفي ابو العلا[2]: «وأقرب التصفية للقلب الاشتغال بذكر الطريقة النقشبندية وهو ان يتلفظ الذاكر «بلسان القلب» لفظة (الله) «لأن القلب كله لسان «وكله سمع وكله بصر»[3]

---

(١) تنوير القلوب ٥١٢ - ٥١٥، شفاء العليل ٨٣، المواهب السرمدية ٣٠٦و ٣١٦ - ٣١٧.
(٢) وهو جامع لكتب ورسائل الغزالي ضمن مؤلفات سماها بـ «القصور العوالي».
(٣) القصور العوالي ٤/ ١٨٢ ط مكتبة الجندي - القاهرة.

وهذا كلام سفسطائي لايصح، فالقلب قلب، والسمع سمع، والبصر بصر، واللسان لسان فقوله (لأن القلب كله لسان) هو كلام غريب لايعلل إدخال هذه البدعة في دين الله.

إن للسان وزناً كبيراً، فبه يدخل أقوام الجنة وبه يدخل أقوام النار، وله أكبر الأثر في أعمال العبد، فلم يريد هؤلاء إسكاته وتعطيله عن نطاق وظيفته؟

لقد عرف أن هناك كلمتين خفيفتين لو تلفظ بهما اللسان لثقل بهما الميزان عند الله تبارك وتعالى فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان الى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم». (١)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، تقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك، فان استقمت استقمنا وإن اعوججتِ اعوججنا» (٢).

وقال ﷺ: لايستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولايستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» (٣).. واللسان هو من الجوارح التي تشهد على الكافرين يوم القيامة، فلابد أن يكون شاهداً للمؤمن الذي أعمل لسانه في ذكر الله، والاحاديث كلها تدل على الذكر باللسان، إذ أن أكثر أحاديث الرسول ﷺ تدور على القول. كقوله ﷺ دائما (من قال كذا...) فالقول لايصح عند اهل العقل إلا باللسان، لا بلسان القلب كما يزعم المتفلسفون!

---

(١) أخرجه البخاري ٧/ ١٦٨ كتاب الدعوات (٦٦)، ومسلم ح (٢٦٩٤) والترمذي (٣٤٦٣).
(٢) رواه الترمذي (٢٤٠٩) وهو حسن، وصححه ابن خزيمة.
(٣) رواه أحمد في المسند ٣/ ١٩٨.

مناقب وكرامات الشيخ محمد بهاء الدين شاه نقشبند

وحين نتكلم عن هذه الطائفة لابد أن نقف قليلاً عند أحد أكابرها وهو الشيخ نقشبند فقد نسبت هذه الطريقة إليه وإشتق أسمها من أسمه، وهو حجة عظيمة عند النقشبنديين بل وأساس طريقتهم فهم يمتدحونه ويعظمونه أشد تعظيم يقول عنه الشيخ محمد أمين الكردي في معرض ترجمته له:

«هو الغوث الأعظم، وعقد جيد المعارف الأنظم، انزاحت بأنوار هدايته أعيان الأغيار، وعادت الأشرار ببركة أسراره من أخيار الأعيان وأعيان الأخيار»[1] ا . هـ وفي ترجمته من الشطحات والمخالفات الشرعية ما يوضح حقيقة هذه الطريقة وحقيقة رجالها.

يروي عنه صاحب «المواهب السرمدية» أنه قال: «صحبت الدرويش خليل. . ثم أمرني بخدمة الحيوانات. . حتى كنت إذا لاقاني في الطريق كلب وقفت حتى يمر هو أولاً لئلا أتقدم عليه، ولم أزل كذلك سبع سنين، ثم بعد ذلك أمرني أن أشتغل بخدمة كلاب هذه الحضرة بالصدق والخضوع وأطلب منهم الامداد، وقال (أي شيخه): انك ستصل إلى كلب منهم تنال بخدمته سعادة عظيمة فاغتنمت نعمة هذه الخدمة ولم آل

---

(١) المواهب السرمدية في مناقب السادة النقشبندية ١٠٨.

جهداً بأدائها حسب إشارته ورغبةً ببشارته، حتى وصلت مرة إلى كلب فحصل لي من لقائه أعظم حال فوقفت بين يديه واستولى عليّ بكاء شديد، فاستلقى في الحال على ظهره ورفع قوائمه الأربع نحو السماء، فسمعت له صوتاً حزيناً وتأوهاً وحنيناً فرفعت يديّ تواضعاً وانكساراً وجعلت أقول: آمين. حتى سكت وانقلب». .

ثم يذكر بعد هذا أنه وجد كذلك حرباء فخطر له أن يطلب الشفاعة منها، فرفع يديه فاستلقت على ظهرها وتوجهت إلى السماء وهو يقول آمين. [1]

سبحان الله! وهل سدت عنه أبواب الشفاعة والمدد حتى لم يعد يجدهما إلا في كلب وحرباء؟ ومن قال بأن الكلب يرفع قوائمه الأربع إذا أراد الدعاء؟ ولو أنه طلب «المدد» و«الشفاعة» من بشر لكان ذلك غير لائق في حقه، فكيف وهو يطلبهما من كلب وحرباء؟

ودعاه بعض أصحابه في «بخارى»[2] فلما أذن المغرب قال للمولى نجم الدين دادرك: «أتمتثل كل ما آمرك به؟ قال: نعم، قال: فإن أمرتك بالسرقة تفعلها؟ قال: لا، قال: ولِمَ؟ قال: لأن حقوق الله تكفرّها التوبة، وهذه من حقوق العباد، قال: إن لم تمتثل أمرنا فلا تصحبنا، ففزع المولى نجم الدين فزعاً شديداً وضاقت عليه الأرض. بما رحبت، وأظهر التوبة والندم، وعزم على أن لا يعصي له أمره فرحمه الحاضرون وشفعوا له عنده وسألوه العفو عنه فعفا عنه». [3]

وهكذا يظهر لنا بصورة جلية أن الشيخ أراد ترويض تلميذه على

---

(١) المواهب السرمدية ١١٨ ـ ١١٩، والأنوار القدسية في مناقب النقشبندية ١٣٠.
(٢) هي مدينة تقع الآن في روسيا ومنها نشأ المحدث العظيم البخاري صاحب الصحيح.
(٣) المواهب السرمدية ١٣٨، الأنوار القدسية ١٤٠، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٥٠.

طاعته طاعةً عمياء حتى وإن كان فيها ترك طاعة الله ورسوله، وهذه عادة مشايخ المتصوفة فإنهم يروضون مريديهم على الطاعة العمياء ويحذرونهم من الإنكار والإعتراض وإلا طردوهم من حضرة الله عز وجل، ولا عجب فإنهم هم أصحاب تلك الكلمة المشهورة «لا تعترض فتنطرد».

ومعلوم أن طاعة الله ورسوله أولى من طاعة غيره وهذا عين قوله ﷺ: «لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف».(١)

وقال كذلك ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».(٢) والعجيب في هذا أنك ترى هذا المريد وقد أظهر التوبة والندم ليس على فعله لمعصية بل على عدم إتيانها طاعةً لشيخه، مع أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وقال الشيخ نقشبند: «كنا نتذاكر في المعارف (هو وزميل له) فما زلنا كذلك حتى أنجرّ الكلام بنا إلى العبودية فقال لي: إلى أي حد تنتهي العبودية؟ فقلت له تنتهي إلى درجة إذا قال صاحبها لأحد «مت» مات في الحال، قال: ثم وقع لي أني قلت ساعتئذٍ «مت» فمات حالاً واستمر ميتاً.. فانزعجت لذلك وتحيرت كثيراً.. ثم رجعت عنده فنظرت إليه فوجدته قد تغير من فرط الحر فازددت قلقاً، فألقي إليّ وقتئذٍ أن قل يامحمد إحيي فقلت له ذلك ثلاث مرات فأخذت تسري به الحياة شيئاً فشيئاً وأنا أنظر إليه حتى عاد إلى حاله الأول».(٣)

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٠) والبخاري ٨/ ١٠٦ كتاب الأحكام و ٨/ ١٣٥ باب إجازة خبر الواحد.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٣٩) والبخاري ٨/ ١٠٦ كتاب الأحكام.

(٣) المواهب السرمدية ١٣٣ - ١٣٤، الأنوار القدسية ١٣٧، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٤٦ - ١٤٧.

وهذا يعني أن فضيلة الشيخ «يحيي ويميت» فضلاً عن أنه يعلم الغيب - بل يعلم السر وأخفى - كما سنذكر ذلك إن شاء الله ويعلم ما تكنه صدور مريديه بل إنه كذلك يصرح علانية بأن كبرياءه من كبرياء الله جل وعلا، حين بلغه أن بعض الناس قد نسب إليه التكبر فقال: «كبرياؤنا من كبريائه»[1] وقد قال هذه العبارة الشيخ محمد سيف الدين الفاروقي في موضع آخر حين خطر ببال أحد المريدين أنه متكبر فقال: «كبرياؤنا من كبريائه تعالى».[2]

فانظر إلى هذه الجرأة والتطاول على الله، ولقد توعد الله كل من أراد منازعته في صفة الكبر الوعيد الشديد فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: «العز إزاري، والكبرياء، ردائي، فمن ينازعني عذبته».[3]

وهل في هذا الكلام إلا المخالفة الصريحة للشرع؟

وقال جامع مناقبه (الشيخ صلاح) كان سيدنا البهاء قدس الله سره يوماً مع أصحابه فقال: «إن التعلق بالسوي حجاب عظيم للسالك، ثم أنشد يقول:

إن التعلق بالسوي أقوى حجاب والتخلص منه فاتحة الوصول

قال الشيخ صلاح: فخطر ببالي ساعتئذٍ أن التعلق بالايمان والاسلام أيضاً كذلك، فالتفت بالحال إليّ وتبسم ثم قال أما سمعت قول الحلاج قدس الله سره وروحه:

(١) الأنوار القدسية ١٣٥.
(٢) المواهب السرمدية ٢١٥، جامع الكرامات ١/ ٢٠٤.
(٣) أخرجه مسلم (٢٦٢٠) وأبو داود (٤٠٩٠).

كفرت بدين الله والكفر واجب لديّ وعند المسلمين قبيح [1]

أيستحق الحلاج بعد هذا الشعر القبيح أن يقال عنه «قدس الله سره وروحه»؟ إن في هذا الشعر من الكفر ما يعلمه كل عالم وجاهل، فما أورد الشيخ نقشبند هذا البيت إلا للاستدلال به لا على وجه إنكاره، ولقد أورد. هذا البيت من الشعر رجل من أكابر النقشبنديين ألا وهو الشيخ شاه ولي الله الدهلوي استلالاً به لا إنكاراً له. [2]

ولا ينبغي أن يقال بأن هذه الكلمة هي كفر في ظاهر الشرع أما حقيقةً فإن لها معانٍ لا يعلمها إلا الخواص من المتحققين، فإن رسول الله ﷺ كان أعبد الناس لله وأحبهم له وأتقاهم له ومع ذلك فلم نسمع عنه كلاماً ظاهره فيه الكفر، بل قد بلغنا عنه أطيب الكلام وأحسنه ولم يبلغنا عنه أيضاً أنه كان يعبد الله حتى يصبح بلا هو، فتفنى ذاته في ذات الله، فهذا النوع من التعبد هو كفر لا عبادة، لأن العبادة لا تأتي إلا بخير، ولا يكون بسببها خروج الكفر البواح من الألسن بدعوى الوجد والغيبة والفناء بين ذات العابد وذات المعبود. فهذا النوع من الحب المزعوم لم يعرف عند نبي من الأنبياء، ولا عند نبي هذه الأمة، ولا عند صحابته الكرام ولا تابعيهم، ومن ذا الذي يجرؤ على الزعم بأنه أشد حباً لله من أولئك، فهو زندقة مزينة بقناع اسمه زوراً وبهتانا (الحب).

وسئل الشيخ شاه نقشبند عن الأدب فقال: «الأدب ترك الأدب». [3]

---

(١) الأنوار القدسية في مناقب النقشبندية ١٣٤، وقد أفردنا لهذا الحلاج ترجمة خاصة ضمن هذا الكتاب.

(٢) الأنوار القدسية ٢١٤.

(٣) المواهب السرمدية ١٢٦، والأنوار القدسية ١٣٣.

وسلم عليه أحد مريديه فلم يرد عليه السلام فأغبر خاطره، فقال: إعتذروا له بأني كنت وقتئذٍ متوجهاً بكليتي لسماع كلام الحق تعالى لي فشغلني كلام الحق عن سلام الخلق». [1] لم نكن نعلم أن هناك كليماً لله غير موسى قبل أن يقول هذا النقشبند ما يقوله. فأين تميز موسى عن البشر بتكليمه لله إن كان النقشبند ينازعه في ذلك؟.

رؤية الله

وحصل إختلاف بين علماء (بخارى) في إمكان رؤية الله أم لا فتحاكموا عند الشيخ شاه نقشبند فقال للذين ينفون الرؤية: أقيموا في صحبتي ثلاثة أيام متطهرين، فلما مضت ثلاثة أيام حصل لهم حال قوي فصعقوا، فلما أفاقوا جعلوا يقبلون قدمه الشريف وقالوا: آمنا أن الرؤية حق. ثم لم ينقطعوا عن خدمته والمثابرة على تقبيل مبارك عتبته». [2]

وهذا منكر من القول وفرية عظيمة على الله، فالله تعالى يقول: «وما كان لبشر أن يكله الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً» [الشورى ٥١]

والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول: «تعلموا إن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت» [3] وقال حينما سأله أبو ذر رضي الله عنه: «هل رأيت ربك؟ قال: نور أنىّ أراه» [4]

وحينما سئلت عائشة رضي الله عنها: هل رأى محمد ﷺ ربه؟

---

(١) المواهب السرمدية ١٣٠، والأنوار القدسية ١٣٥.
(٢) المواهب السرمدية ١٤٥ ـ ١٤٦.
(٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢٩٦٠) وانظر ابن خزيمة في التوحيد ١٨٥.
(٤) مسلم (٢٩١).

فقالت: سبحان الله! لقد قفّ شعري لما قلت». [1]

وعنها أنها قالت: «من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فقيل لها: «ألم يقل الله عز وجل: «ولقد رآه بالأفق المبين» (التكوير ٢٣] ولقد رآه نزلة أخرى (النجم ١٣]؟ فقالت: «أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين. رأيته منهبطاً من السماء. سادّاً عِظَمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض» فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير» (الانعام ١٠٣] أو لم تسمع أن الله يقول: «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم» [الشورى ٥١]. رواه مسلم[2]

فلا يجوز بحال من الأحوال أن يزعم أحد بأنه يرى ربه، وكما نرى من قصة الشيخ شاه نقشبند أنه حسم الخلاف الذي نشب بين علماء عصره في جواز رؤية الله بأن أراهم الله جل وعلا فأيقنوا أن الرؤية حق، مع أن هذا فرية عظيمة إقشعر لها بدن عائشة رضي الله عنها، فهل يعقل أن يقول الله لموسى (لن تراني) ويسمح لأمثال هؤلاء برؤيته؟.

وهذه ليست زلة تفرد بها رجل من هذه الطائفة وإنما هي جزء من عقيدتهم، فإن ثمرة الذكر عندهم (بطريقة النفي والأثبات) هي مشاهدة المذكور، بل ومشاهدته في الأشياء الظاهرة بين أعين الناس.

يقول الشيخ محمد أمين الكردي (مصنف وشارح الطريقة النقشبندية) يقول: «فإذا جاهد فيه (أي في الذكر) حق جهاده وصدق فيه

---

(١) مسلم (٢٨٩).
(٢) مسلم (٢٨٧).

ظهرت النتيجة وهي رؤيةجناب الحق سبحانه وتعالى بعين البصيرة على الدوام والمداوم عليها مع المجاهدة التامة يكون دائما في التقرب وأبداً في التحبب حتى تنتهى مراقبته إلى المشاهدة من غير حجاب لأن المجاهدة بذرة المشاهدة فمن لم يزرع بذر المجاهدة في أرض الأستعداد لم يحصد المشاهدة في التجليات». [1]

وهذا قول مخالف للشرع ومخالف لقوله ﷺ: «واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت».

وأما قول ابن عباس رضي الله عنه في تفسير آية (ولقد رآه نزلة أخرى) [النجم ١٣] قال: رآه بقلبه وكذلك قوله: رآه بفؤاده مرتين فهو على وجهين:

الأول: أنه رأى نوره، وقد سئل هل رأى محمد ربه؟ فقال: نعم، فقيل له: فأين قوله تعالى: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) [الأنعام ١٠٣] فقال: لا أم لك ذلك نوره الذي هو نوره إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء». [2]

وهذا معنى قوله ﷺ حين سئل: هل رأيت ربك؟ فقال: رأيت نوراً[3]

وكذلك قال أبو العالية في تفسير قوله تعالى: «سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين» [الأعراف ١٤٣]: أي إني أول من آمن بك أنه لن يراك أحد قبل يوم القيامة، وقال ابن عباس: «وأنا أول المؤمنين» يقول أنا أول

---

(١) المواهب السرمدية ٣١٧، تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ٥١٥ ـ ٥١٦ بلفظ آخر.
(٢) التوحيد لابن خزيمة ١٩٨، شرح أصول السنن ٣/ ٥٢١ للالكائي والترمذي ٣٢٧٩ وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه.
(٣) مسلم (٢٩٢).

من يؤمن أنه لا يراك شيء من خلقك، وعن مجاهد: سبحانك تبت إليك من مسألتي الرؤية». [1]

ثانياً: أن عائشة رضي الله عنها قالت بأنها سألت رسول الله ﷺ عن معنى قوله تعالى: «ولقد رآه نزلة أخرى» [النجم ١٣] فاجابها بأنه إنما هو جبريل، ونقل عائشة رضي الله عنها تفسير هذه الآية عن رسول الله ﷺ أولى من مجرد إجتهاد ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره لها والله أعلم.

وما القول بعد ذلك بجواز الرؤية لله عز وجل عند طائفة النقشبندية إلا مخالفة قول الله وقول رسوله ﷺ وأجماع صحابته وتابعيه وأمته على ذلك.

فصاحب «المواهب السرمدية وتنوير القلوب» يقول بالمشاهدة من غير حجاب والله تعالى يقول: وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب [الشورى ٥١] وما ذاك إلا المخالفة الصريحة للكتاب والسنة والإجماع، فيكون قوله في كتابه المواهب: «إعلم أن طريق السادة النقشبنديين هو معتقد أهل السنة والجماعة وهي طريقة الصحابة رضي الله عنهم على أصلها لم يزيدوا فيها ولم ينقصوا منها» [2] يكون هذا القول لا صحة له وهو مردود على صاحبه لأن هذه الدعوى يلزمها ذاك الدليل، والأدلة هنا تثبت عكس هذه الدعوة، وفي جملة هذه الأدلة تلك القصة التي يرويها صاحب «المواهب السرمدية» عن الشاه نقشبند من أنه أبقى عنده الفقاء ثلاثة أيام متطهرين حتى أراهم الله وآمنوا أن الرؤية حق [3] مع أن الرؤية في الدنيا ليست بحق.

---

(١) تفسير الطبري ٩/ ٣٨ ـ ٣٩، وأما قول ابي العالية ففي التفسير وشرح أصول السنن للالكائي ٣/ ٥٢١.

(٢) المواهب السرمدية ٥.

(٣) نفس المصدر ١٤٥ ـ ١٤٦.

وقال أحد مريدي الشيخ نقشبند: «لما سعدت بمحبة الشيخ رضي الله عنه سهل عليّ البذل والإيثار فاجتمع عندي يوماً مائة دينار فتقدم إلى أهلي في ادخارها، فلضعف اليقين وافقتهم ثم ذهبت إلى بخارى فاشتريت خفا «كيمختيا» وغيره ثم رجعت قاصداً زيارته رضي الله عنه في قصر العارفان فلما تمثلت بين يديه قال: لم ذهبت إلى بخاري؟ فقلت: لمصلحة عرضت لي هناك، فقال: ائتني بذلك الخف «الكيمختي» وبقية ما اشتريته فأتيت بها سريعاً فقال: وأحضر بقية المائة دينار فجئته بها فنظر إلي وقال: لو شئت لجعلت لك الجبل بحول الله عز وجل ذهباً ولكن لا ينبغي لنا الالتفات في عالم الفناء إلى مثل هذه الأشياء فإن نظر هذه الطائفة من وراء هذا العالم فكيف تدخر[1] وأنت تعلم أن ما كان لك لا ينقص منه شيء إني أعظك أن تعود لمثل هذا»[2].

تبرز في هذه القصة مسألتان:

الأولى: علم الشيخ بالغيب، وذلك أنه علم بما ادخره تلميذه، وبما اشتراه، وبما بقي عنده وهذا الباب قد ناقشناه في غير هذا الموضع، لكن تكفي الاشارة إلى أن علم الغيب شيء طبيعي جداً في اعتقادات النقشبنديين بمشايخهم، وهذا أيضاً مخالف للشرع، ولئن سلمنا جدلاً أن هذا قد حصل للشيخ وعلم عن مريده كل ذلك فإنه لا ينبغي له إشهاره لأن الصحابة وتابعيهم قد وقع لهم من الكرامات الشيء الكثير، وقد كانوا أشد الناس حرصاً على إخفائها خوفاً من الوقوع في الرياء وخوفاً من أن يؤدي ذلك إلى تقديس الناس لهم. إلا أن يقتضي ذلك ضرورة كنداء عمر رضي الله عنه لسارية حين كان على منبره خوفاً من إنقضاض الأعداء على

---

(١) يجوز لهذا النقشبند أن يسكن في «قصر العارفان» أما أن يملك مريده مائة دينار فلا يجوز! . .

(٢) نفس المصدر ١٤١ ـ ١٤٢، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٥١.

جيوش المسلمين من خلال ذاك الجبل.

الثانية: أنه وبخ مريده لكونه ادّخر مائة دينار، وهذا الادخار ينافي عقيدة (التوكل) عند النقشبنديين وعند غيرهم من المتصوفة بشكل عام إذ الادخار عندهم جريمة يعاقب عليها قانون «التصوف».

فقد حكى الشيخ محمد الكردي أن جماعة دخلوا على الجنيد فقالوا له: نطلب أرزاقنا، قال: إن علمتم أين هي فاطلبوها، فقالوا: نسأل الله ذلك، فقال: إن علمتم أنه ينساكم فذكروه، فقالوا: ندخل بيوتنا ونتوكل عليه؟ فقال: التجربة مع الله شك خطر، قالوا: ما الحيلة قال: ترك الحيلة». (1)

وكذلك قال الشيخ محمد الكردي: «قال ذو النون المصري: التوكل ترك التدبير والانخلاع من الحول والقوة، وقال ابراهيم الخواص: لقيني الخضر عليه السلام فسألني الصحبة فخشيت أن يفسد عليّ توكلي بسكوني إليه ففارقته» (2)

وحكى أن أحد مشايخ هذه الطائفة وهو الشيخ حبيب الله جان جانان المظهر كان يسافر مع أصحابه بغير زاد ولا راحلة فكانوا إذا نزلوا منزلاً تأتيهم الموائد من الغيب». (3)

وكان أحد مشايخهم واسمه عبدالله الدهلوي يقول: كما أن طلب الحلال فرض على المؤمنين كذلك ترك الحلال فرض على العارفين». (4)

(1) تنوير القلوب ٤٨٢، الرسالة القشيرية ٧٨.
(2) نفس المصدر ٤٧٧، الرسالة القشيرية ٧٧.
(3) الأنوار القدسية ٢٠٤، المواهب السرمدية ٢٢٤، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٨٩.
(4) المواهب السرمدية ٢٤٠، الأنوار القدسية ٢١٣.

وهذا من «التواكل» وليس من التوكل، وحسبي أن أقول: لو كان هذا هو المنهج الشرعي المطلوب في الاسلام لما قامت لهذا الدين قائمة، ولو أن أهل الأرض كلهم اعتنقوا هذا الدين ومشوا على هذا «التوكل» الهدام، لماتوا جميعهم جوعاً وعطشاً عقب إسلامهم بأيام قليلة. فهؤلاء يرون بأن التوكل هو ترك العزم مع أن الله تعالى يقول: «فاذا عزمت فتوكل على الله» [آل عمران ١٥٩] وقال لمصلي الجمعة: «فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله» [الجمعة ١٠] وقال: «فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه» [تبارك ١٥]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ وترك ناقته بباب المسجد فسأله رسول الله ﷺ عنها فقال: أطلقتها وتوكلت على الله قال: اعقلها وتوكل». (١)

ولماذا يحرم الشيخ نقشبند ادخار مريده لبعض المال، أهذا من الاسلام، إسمعوا رأي الاسلام في ذلك: في الحديث المروي عن سعد بن أبي وقاص أنه اراد أن يوصي بماله كله إلى الله ورسوله فقال له رسول الله ﷺ لا، قلت فالشطر قال لا، قلت الثلث، قال فالثلث، والثلث كثير إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالةً يتكففون الناس في أيديهم». (٢)

وعن عطاء بن السائب قال: لما استخلف أبوبكر رضي الله عنه أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها فلقيه عمر وأبوعبيدة فقالا: أين تريد؟ فقال: السوق قالا: تصنع ماذا؟ وقد وُلّيت أمور

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٨٦.
(٢) أخرجه البخاري ٨/ ٥ و ٣/ ١٨٦ و ٧/ ١٦٠، ومسلم (١٦٢٧).

المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ فنهياه عن مزاولة التجارة لأنه تولى أمر المسلمين وفرضوا له في كل سنة ستة آلاف دراهم»[1].

قال ابن الجوزي عقب هذه القصة: «لو قال رجل للصوفية من أين أطعم عيالي لقالوا قد أشركت ولو سئلوا عمن يخرج إلى التجارة لقالوا ليس بمتوكل ولا موقن وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين».

هذا ما جاء به الاسلام، وهو التوكل الحقيقي وهو تفويض ما لا طاقة للعبد فيه، فالتوكل في الاسلام لا ينافي الحيطة والأخذ بالأسباب، أما توكل الصوفية فهو توكل على أصحاب الصدقات لا على العزيز الجبار، لأنهم لا يسعون للكسب بل يجلسون في بيوتهم ينتظرون من يدق عليهم الباب ليعطيهم رغيفاً حسناً وسمكةً مشويةً كما كثرت قصصهم بذلك ومن شاء فليطلع على كتبهم ليرى فيها تغنيهم بالرغيف والسمكة المشوية.

وهذا النوع من التوكل كاف لهدم المجتمعات ونشر الفقر بينهم مما يؤدي إلى هلاكهم، ومن قال بأن الرسول ﷺ كان يحب الفقر؟.. لقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من فتنة الفقر فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار وفتنة القبر وعذاب القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر»[2].

وكان يقول: «تعوذوا بالله من الفقر والقلة والذلة وأن تظلم أو تظلم»[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٥٤، طبقات ابن سعد ٣/ ١٨٤، تاريخ الخلفاء للسيوطي ٧٨، تلبيس إبليس ٢٨٢.

(٢) أخرجه البخاري باب التعوذ من فتنة الفقر ٧/ ١٦١ ومسلم (٥٨٩) والنسائي ٢/ ٣١٥ والترمذي ٢/ ٢٦٣ وقال حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه ابن ماجة (٣٨٤٢) والحاكم ١/ ٥٣١ وقال صحيح الاسناد، ووافقه الذهبي.

وقد كان رسول الله ﷺ يدعو لبعض أصحابه بكثرة المال فقد دعا لأنس بن مالك فقال: «اللهم أكثر ماله وولده».[1]

وأكثر الصحابة كانوا أغنياء فأبوبكر كان غنياً، ذا مال كثير، ولم يمانع الرسول ﷺ بذلك بل كان يقول:

«ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر».[2]

وصدقات عثمان في الحروب مشهورة جداً، وكذلك كان عبدالرحمن بن عوف غنياً، فقد ترك ماله مهاجراً إلى الله ورسوله، وقد آخا الرسول ﷺ بينه وبين أحد الأنصار، فعرض عليه الانصاري نصف بيته ونصف ماله، وأن يطلق له إحدى زوجاته لكنه أبى وقال كلمته المشهورة: «بارك الله لك في مالك وأهلك ولكن دلني على السوق» فعاد أغنى مما كان عليه في مكة قبل الهجرة.

«وكلمة دلني على السوق» هي كلمة عظيمة عند الصوفية، لا يصلح صاحبها للتصوف، إذ أن النزول الى السوق لطلب الكسب هو طريق مغاير للتصوف.

فقد نظر أبوتراب النخشبي إلى صوفي جائع قد مد يده إلى قشر البطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام من «التواكل الصوفي» فقال له: لا يصلح لك التصوف إلزم السوق[3]

وقال أبوعلي الروزبارى: «إذا قال لك الصوفي بعد خمسة أيام: أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب».[4]

---

(١) أخرجه البخاري ٧/ ١٦١ - ١٦٢ باب الدعاء بكثرة المال والولد، ومسلم (٢٨٤٠).
(٢) صحيح الجامع الصغير (٥٦٨٤).
(٣) الرسالة القشيرية ٧٨، تلبيس إبليس ٢٠٨.
(٤) الرسالة القشيرية ٦٧، تلبيس إبليس ٢٠٩.

وقيل لحبيب العجمي: «لم تركت التجارة؟ فقال: وجدت الكفيل ثقة»

وسئل ذو النون المصري عن التوكل فقال: خلع الأرباب وقطع الأسباب». [1]

فمن يتصدق على من ومن ينفق على من لو كان المجتمع برمته على هذه المباديء، إنه لا يمكن تصور مجتمع سليم متكامل يقوم وينهض ويؤدي دوره في الحياة في ظل مباديء تدعو إلى الكسل والخمول. إن عقيدة كهذه لهي كافية لهدم أي مجتمع يقوم على هذاالمبدأ، فالسعي والأخذ بالأسباب والحيطة عنصر مهم في الجسد الاسلامي وكيف يفتح الاسلام البلاد لو كان كل جنوده من المتصوفة الذين يرون أن الكفرة من النصارى واليهود والمجوس وغيرهم لا يلامون على ما هم فيه من الكفر والشرك، لأن هذا مقدور عليهم وليس بوسعهم تغيير قدر الله!

ولقد سئل ابويزيد البسطامي: أيعصي العارف؟ قال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً. [2]

إذن فعصيان العبد هو أمر الله أراده له وقدره عليه، هذا عند أبي يزيد، أما عندنا فهو الجبر بعينه.

وما وجد كلام البسطامي بين كتب النقشبندية إلا للاستدلال به، وموافقتهم عليه.

فقد تكلم الشيخ الكردي في التوكل واستدل بأقوال كثيرة، منها ما حكاه عن ذي النون المصري بأنه عرّف التوكل فقال: التوكل ترك تدبير

---

(١) الرسالة القشيرية ٧٦ و ٧٩.

(٢) المواهب السرمدية ٥١، الأنوار القدسية ١٠٠.

النفس والانخلاع من الحول والقوة بأن لا يرى لأحد حيلة ولا قوة إلا بالله».

ثم قال الشيخ الكردي: وعلامة المتوكل أن لا يسأل ولا يرد ولا يحبس، وأكمل أحواله أن يكون بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبير».(١)

وهذه العبارة ليست له وإنما أخذها عن الرسالة القشيرية، والعبارة هذه منسوبة لسهل بن عبدالله التستري.(٢) قد أخذها عنه الكردي.

ومعنى ذلك أنه لا اختيار للعبد فيما يفعل، وبعبارة أوضح فهو كالريشة في مهب الريح، وحاشا أن يكون التوكل هو هذا، إن هذا إلا الجبر المحض، إذ مآل هذاالكلام أن الكافر صار كافراً بلا اختياره لأن الله أراد له أن يكون كافراً، والله يقول: «ولا يرضى لعباده الكفر». [الزمر ٧] وقال جل شأنه: «وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر [الكهف ٢٩] فكيف يكون العبد كالميت لا حركة ولا تدبير؟ وتكون الحركة والتدبير من الله كالغاسل لهذاالميت ألم يقل الله تعالى: إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً؟ [الانسان ٣] والهداية هنا هي الدلالة على الشيء، فالله قدد لنا على الطريقين ولم يجبرنا على سلوك أي منها بلا اختيار منا ولو أنه أجبرنا على ذلك لما حاسبنا عليه، إذ كيف يحاسبنا على شيء أجبرنا على فعله بلا اختيار منا؟ فلقد تبرأ الشيطان من إجبار العبد على فعل المعاصي والكفر فقال: «وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم [إبراهيم ٢٢] وأمثال الشيخ الكردي يرون بذلك أن كل ما يفعله العبد من الفواحش والمعاصي مكتسبة

(١) تنوير القلوب: ٤٧٩.
(٢) الرسالة القشيرية ٧٦.

من الله وهو ـ أي العبد ـ كالميت بين يدي غاسله ـ مع أنه ليس بميت، فهو يفعل المعاصي وغير ذلك لا على انه ميت بل على أن المتصرف في حركات العبد هو الله وما يصدر عن العبد من خير أو شر فهو من الله تعالى، فتبرأ الشيطان من جبر الناس على فعل المعاصي والآثام، ونسب الكردي وغيره ذلك إلى الله.

من كرامات وأقوال مشايخ النقشبندية

قال الشيخ محمد المعصوم: «رأيت أن الكعبة المعظمة تعانقني وتقبلني باشتياق تام. . . ولما فرغت من طواف الزيارة، جاءني ملك (من الملائكة) بكتاب قبول الحج من رب العالمين»(١)

ونقل عنه أنه تكلم بالتوحيد وهو ابن ثلاث سنوات فصار يقول: «أنا الأرض أنا السماء»(٢).

ويقول كذلك: «أرى نفسي نوراً سارياً في كل ذرة من ذرات العالم، والعالم يتنور به كالشمس». (٣)

ويقول حبيب الله جان جانان المظهر: «إن الصوفي الكامل هو الذي لاينسب الخير والكمال لنفسه أصلا ويعلم أنه مستعار، وهذا هو الحق معنى الفناء التام وحصول الشهود الصحيح.. وهذا سر قول الحلاج «أنا الحق»(٤).

وقد أفردنا لهذا الفناء بابا فليراجع، فالقوم لايرون في الموجودات سوى الله، وهذه علة استشهادهم بقول الحلاج «أنا الحق» لأنه كان يعتبر نفسه نفس الله (تعالى الله عن ذلك). وحينما توفي هذا المدعو (حبيب الله)

---

(١) المواهب السرمدية ٢١٣، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٠٤، الأنوار القدسية ١٩٦.
(٢) المواهب السرمدية ٢٠٢، الأنوار القدسية ١٩٢.
(٣) المواهب السرمدية ٢٠٣، الأنوار القدسية ١٩٢.
(٤) المواهب السرمدية ٢٢٧، الأنوار القدسية ٢٠٥.

قيل بأنه إرتفع نصف القرآن الى السماء ووقع في الدين فتور». قاله السنهوتي في الانوار القدسية في مناقب النقشبندية»[1].

وقال الشيخ أحمد الفاروقي: «كثيراً ما كان يعرج بي فوق العرش المجيد، ولقد عُرج بي مرة، فلما ارتفعت فوقه بقدر مابين مركز الأرض وبينه، رأيت مقام الامام شاه نقشبند رضي الله عنه ورأيت فوق ذلك قليلاً مقامات بعض المشايخ (وذكر اسماء عديدة) ثم قال.. «وأعلم أني كلما أريد العروج يتيسر لي»[2].

وقال: «أُريت الكعبة المطهرة تطوف بي تشريفاً منه تعالى وتكريماً لي»[3]

ومن كرامات الشيخ احمد ضياء الدين، ان احد مريديه «حدثته نفسه» أن يسأل حضرة الشيخ ظهور كرامة، ولم يجرؤ، فكاشفه فضيلته في الحال بما في نفسه وقال له: «الاستقامة خير من الف كرامة»[4].

أما الشيخ محمد بن عبدالله بن مصطفى الخاني فقد كان يخبر بالأمر قبل وقوعه فيقع كما أخبر، وكان في الاطلاع على خواطر المريدين مرآة صقيلة يلوح فيها أدنى الخطرات كأعلاها، وكان لايسأل المريد عن أحواله بل هو الذي يخبر المريد بأطواره».[5]

وذكر انه كانت للشيخ تاج الدين بن زكريا بنت صغيرة كانت مريضة، وكان الشيخ يتوضأ فألهمها الله أن شربت من غسالة رجليه عند

---

(١) الأنوار القدسية ٢٠٧، وكذلك قالها الشيخ محمد الكردي في المواهب السرمدية ٢٣١ ـ ٢٣٢.
(٢) المواهب السرمدية ١٨٤، الأنوار القدسية ١٨٢.
(٣) المواهب السرمدية ١٨٥.
(٤) الأنوار القدسية ٢٧٢.
(٥) جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

الوضوء فشفيت بإذن الله.

وكان يضحك مرة مع اصحابه ويمازحهم فخطر لبعضهم ان مقام المشيخة لا يناسب المزاح أو نحو ذلك «فاطلع الشيخ على خاطره» وقال: إن المزاح من سنة سيد المرسلين ﷺ..[1]

ومن كرامات الشيخ قاسم ماقاله الخاني من أن الشيخ «عبيد الله أحرار» مرض فقال له الشيخ قاسم إني قد فديتك بنفسي فقال الشيخ عبيدالله لاتفعل هكذا فان المتعلقين بك كثيرون وأنت رجل شاب فقال الشيخ قاسم ماجئتك مستشيرا في هذا الامر بل قررته في نفسي وصممت عليه وجئتك وقد قبل الله مني ذلك، ففي اليوم التالي إنتقل مرض الشيخ عبيدالله الى الشيخ قاسم، وبرىء الشيخ عبيدالله من المرض برءاً تاماً فلم يعد بحاجة الى طبيب».[2]

هذه نبذة سريعة عن اقوال مشايخ النقشبندية وأفعالهم، وفيها من المخالفات الشرعية ما لايخفي على القارىء «المنصف»، فهم يعلمون ما يجول في خواطر الناس، ويعلمون ماسيكون ومنهم من يعرج به الى «فوق العرش المجيد» ومنهم من يرى نفسه نورا ساريا يجري في كل ذرة من ذرات هذا الكون ـ وكثير منهم من لايرى التفرقة بين الواحد وبين الكثرة فالخالق والمخلوق شيء واحد ويستدل على ذلك بقول أمير الزنادقة «الحلاج».. أنا الحق «وكل بركة ونعمة تحصل للمريدين إنما هي من المشايخ، ولا ذكر لله يُرجى في هذه البركات! أهذه هي المتابعة والالتزام بسنة الرسول ﷺ وطريق صحابته كما يزعم صاحب تنوير القلوب؟!

---

(١) نفس المصدر ١/ ٣٧٣.

(٢) جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧، الأنوار القدسية ١٧٧.

الاستغاثة بمشايخ النقشبندية

قال الله تعالى: «أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرضأ إله مع الله (النمل ٦٢) ما اجمل هذه الآية الكريمة وما اشد وقعها في النفوس حسب المؤمن بهذه الآية ان لايتوجه بالسؤال والاسغاثة إلا الى الله سبحانه.

ثم يصور لنا الحق تبارك وتعالى مشهداً مروعاً مخيفاً يقع للانسان فلا يغيثه فيه آخر بل هو موقف لايسع المرء فيه الإلتجاء وطلب الإغاثة إلا الى الله سبحانه.

فيقول:

«هو الذي يسيّر كم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين» [يونس٢٢]

والعبرة في هذا أن الانسان في هذه اللحظة الحرجة يخلص دعاءه لله عز وجل فحسب، فلا يستغيث بصنم ولا قبر ولا ولي ولاشيء البتة، فاضطرار المضطر في هذه اللحظة المخيفة للاتجاه الى الله وحده هو معنى قوله تعالى «مخلصين له الدين»، وذلك أنه إذا اغاثهم الله ونجاهم عادوا إلى إشراك أحد مع الله بالعبودية والدعاء والاستغاثة يقول الله عز وجل «فلما نجاهم الى البر إذا هم يشركون» [العنكبوت ٦٥].

والعيب الحاصل في النقشبندية أنهم يستغيثون بالمشايخ ولو في أحرج الأوقات كما يزعمون ذلك. إذ حين يتوسع أصحاب الكتب النقشبندية في وصف مزايا مشايخهم بأنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون ويغيثون فلانا ويعاقبون علانا، ويدفعون النوازل والمرض الخ . . . فإنهم يسارعون حينئذ بالاستغاثة بهم، مخلصين لهم الدين، فلا يتوجهون الى الله، ولا ترتفع أيديهم الى السماء، بل إنما يتبادر اليهم مباشرة، التوجه الى مشايخهم للاستغاثة بهم واليك تفصيل ذلك:

يروى أن أحد مريدي «الشيخ محمد المعصوم» كان راكباً على فرس فجفلت فسقط على الأرض وبقيت رجله معلقة في الركاب، وجعلت الفرس تعدو به حتى أيقن بالهلاك، فاستغاث بحضرة القيوم (أي بالشيخ محمد المعصوم ـ ثم لاحظ وصف الكاتب للشيخ بـ «حضرة القيوم») قال : فرأيته حضر وأوقفها وأركبني» ١ . هـ . ثم وقع نفس هذا المريد في البحر ولم يكن يعرف السباحة ، وكاد أن يغرق فناداه مستغيثاً به ، فحضر وأخذه بيده وأنقذه.

وكذلك استغاث به رجل في سفينة كادت تغرق به فاستغاث بالشيخ ، فمد الشيخ يده ـ وكان جالساً بين اصحابه في بيته ـ فمد يده وانتشل السفينة، وابتل كمه لذلك، مع ان المسافة بين المستغيث والمستغاث به شاسعة، فتعجب تلامذته وأصحابه حين رأوا كمه قد ابتل بعد ان مد يده في الهواء. . . [١]

وجاء يوم سيل عظيم على قرية «مولانا عارف» فخاف أهلها من الغرق ففزعوا إليه، فخرج وجلس مكان طغيان الماء، وقال للماء: «إن

---

(١) جامع كرامات الأولياء ١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠، المواهب السرمدية ٢١٠ ـ ٢١٣، الأنوار القدسية ١٩٥ ـ ١٩٦.

كان لك قوة فاحملني. فتراجع السيل»[1]

لم يندفع الناس في هذه الأخطار الملمة بهم لرفع ايديهم الى السماء وإنما تبادر اليهم مباشرة التوسل والاستغاثة بمشايخ الطريقة، ولست ادري اين الاسلام بين هؤلاء اين التوحيد ؟ اين اعتبار الله في نفوسهم وتأليهه في قلوبهم ؟

ماذا يريد مصنفو كتب النقشبندية ؟ أيريدون تعبيد الناس لهؤلاء المشايخ من دون الله أم يريدونهم آلهة مع الله؟

ولا يتوقف الامر عند ذلك بل إنه لافرق بين الاستغاثة بالشيخ حياً وبين الاستغاثة به بعد موته، فيقول الشيخ محمد الكردي بأن إمداد الشيخ نقشبند لأصحابه حاصل لهم في حياته وبعد موته فلا فرق بين حياته أو موته في إمداد أصحابه بكل شيء، واستدل على ذلك بقوله تعالى: «أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»[2] .[آل عمران ١٤٤] مع أن الآية خاصة بالنبي الكريم صلوات الله وسلامة عليه، لكن لا مانع عندهم من الانتساب إلى ما أختص به، فهم قد نسبوا الى انفسهم صفات وخوارق قد اختص بها الله عز وجل، فليس من الصعب أن يأخذوا الآية عن خصوصيتها فيجعلوها لعامة مشايخ الطائفة ، ثم يحملوها على غير محملها فيجعلوها دالة على جواز الاستغاثة بالميت. ومن يقرأ كتب التفسير لايجد مايؤيد هذا التفسير المنحرف الشاذ.

وهم لا ينقطعون عن مجالسة اموات مشايخ النقشبندية والاجتماع بهم وأخذ الولاية والتكليف منهم، فقد حصل للشيخ نقشبند التكليف والولاية حينما اجتمع بسلسلة مشايخ النقشبندية (الاموات) في المقبرة[3]

(١) المواهب السرمدية ١٠٧، الأنوار القدسية ١٢٥.
(٢) تنوير القلوب ٥٠٠.
(٣) المواهب السرمدية ١١٣.

وكذلك أخذ طريقة الذكر الخفي عن روحانية الشيخ عبدالخالق الغجدواني. ثم يعقب صاحب كتاب الأنوار القدسية على ذلك بقوله: فان الروحانيات تجتمع في ذلك كاجتماعهم في المنام وبعد الممات وهو عالم اللاهوت الخارج عن عالم الأجسام والارواح والخلق»[1]

لقد ذهب العلماء إلى تكفير القائلين بالتقاء الأحياء بأرواح الأموات واجتماعهم بهم. فقد جاء في الفتاوى البزازية: من قال إن أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر وقال الشيخ فخر الدين أبو سعد عثمان الجياني: ومن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله واعتقد بذلك كفر. (البحر الرائق ٣/ ٩٤).

وقال الشيخ حميد الدين ناكوري في «التوشيح»: ومنهم الذين يدعون الأنبياء والأولياء عند الحوائج والمصائب باعتقاد أن أرواحهم حاضرة تسمع النداء وتعلم الحوائج وذلك شرك قبيح وجهل صريح.

من أين لهم هذا الاتصال الوشيج بعالم الأرواح ؟ ومن أين لهم أن الأرواح تتنقل وتغدو وتجيء الى من تشاء من الأحياء فتكلمه وتسامره ؟

انه حين يكثر التساؤل عن الروح وماهيتها ومصيرها ومستقرها بعد موت صاحبها تأتي آية في كتاب الله لترد هذه التساؤلات جميعها على أصحابها فالله تعالى يقول. . . يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ». [الاسراء ٨٥] فما أقرب أهل هذه الطائفة الى الخيال، وما أبعدهم عن الواقع وعن الالتزام بتشريع الله، وما أقربهم من تخيلات وخرافات مدعي المشيخة من أهل الفناء والحلول.

---

(١) الأنوار القدسية ٧.

تقديس قبور مشايخهم

وليت الأمر توقف عند هذا الحد، بل إنه تعداه الى الحث على تقبيل قبورهم والتمرغ فيها، مع أن الرسول ﷺ نهى أن يصلى عند القبر أو أن يبني عليه أو يجصص وأن يقعد عليه، فكيف لو يعلم بمن يكتحل بترابه ويتبرك به ويقبّل أعتابه؟

قال الشيخ الكردي في تنوير القلوب: «ومايفعله العامة من تقبيل اعتاب الأولياء، والتابوت الذي يجعل فوقهم فلا بأس به إن قصدوا بذلك التبرك، ولاينبغي الاعتراض عليهم لأنهم يعتقدون أن الفاعل والمؤثر هو الله، وإنما يفعلون ذلك محبة فيمن أحبهم الله تعالى»(١).

لكنه يخفي هنا على القارىء ان الشيخ يعتقد باستجابة القبور لأهل الحاجة وقضائهم لحاجاتهم، فالأمر ليس مسألة تبرك فحسب بل هو يرى أنها تقضي الحوائج وأي شرك أعظم من ذلك؟ فإنه يقول: «قال بعض المشايخ إن الله يوكل بقبر الولي ملكاً يقضي الحوائج وتارة يخرج الولي من قبره ويقضيها بنفسه»(٢)

ومن مكائد الشيطان أنه تحوّل عن تزيين الاصنام للمسلمين ليقينه انها أصبحت قضية قديمة وغير رائجة لتأثر المسلمين بقصة فتح مكة

(١) تنوير القلوب ٥٣٤.
(٢) نفس المصدر ٤١٠.

ومارافقها من تحطيم للأصنام وقد فكر قليلاً فوجد ان القبر يمكن ان يكون المكيدة البديلة عن الصنم، فأوحى الى الناس بتشييد القبور والنباء عليها وحثهم على شد الرحال اليها عند حصول الشدائد والحاجات.

فالقبر عبارة عن حجر مبني، والصنم من نفس المادة، وما الفرق بينهما الا الشكل ، فالصنم مجسم على صورة الانسان، أما القبر لا تصوير فيه، وهذا مالايهم الشيطان وإنما همه الوحيد هو الحصول على النتيجة التي كانت تحصل في الأصنام ، فالاصنام لاتملك نفعاً ولاضراً وكذلك القبور، وإنما كان الامر مكيدة من الشيطان قلّما تنبه الناس اليها.

وقد علم رسول الله ﷺ خطورة هذه المكيدة فنبه عليها أعظم تنبيه، وحذر منها وهو يلفظ انفاسه الاخيرة، فكان كلما افاق من سكرات الموت يقول. . . : «
لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. . قالت عائشة رضي الله عنها: فلولا ذاك ابرز قبره، غير أني أخشى ان يتخذ مسجدا»[1]

وقد قالت انه لما حضرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف قميصة له، فاذا إغتم كشفها عن وجهه وهو يقول ذلك.

وعن جندب بن عبدالله البجلي انه سمع النبي ﷺ يقول قبل موته: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[2].

وكذلك نهى عليه الصلاة والسلام ان يجصص القبر أو يبنى عليه أو

---

(١) أخرجه البخاري ٢/ ٩٠ كتاب الجنائز، ومسلم (٥٣٠) وأحمد ٦/ ١٤٦، والبغوي في شرح السنة ١/ ٤١٥.
(٢) أخرجه مسلم (٥٣٢) في كتاب المساجد.

يقعد عليه[1] ، فكيف بمن يقبل القبر ويتمرغ على أعتابه ويكتحل بترابه، ويعتقد فيه الضر والنفع ألا يكون هذا أولى بالتحريم؟

يقول الشيخ الكردي: «ولما مات (الشيخ نقشبند) بنى أتباعه على قبره قبة عظيمة «وجعلوه مسجداً فسيحاً». [2]

وأضاف صاحب الأنوار القدسية على ذلك القبر ما يلي: «ولم يزل كذلك الى يومنا هذا يستغاث بجنابه ويكتحل بتراب أعتابه ويُلتجأ الى أبوابه» [3]

أروني بالله عليكم أين اتباع الشريعة وتحري السنة، وطريق الصحابة الكرام، كما يزعم هؤلاء؟ أكانت طريقتهم تقبيل القبور والتمرغ على اعتابها والاستغاثة بها، أم أن رائحة الوثنية قد فاحت وهبت ريحها عند تلك الطائفة التي يزعم أهلها الحرص الشديد على أخذ عباداتهم من كتاب الله وسنة رسوله !!!.

---

(١) مسلم (٩٧٠)، والترمذي ٢/ ١٥٥، وصححه، وأحمد في المسند ٣/ ٣٣٩، والبيهقي في السنن ٤/ ٤.
(٢) المواهب السرمدية ١٤٢.
(٣) الأنوار القدسية ١٤٢.

(الفناء ووحدة الوجود) من أخطر عقائد النقشبندية

ومن أخطر ما عند النقشبندية هي عقيدة الفناء ووحدة الوجود وذلك بأن تحدث لهم حال يرون الله فيها بكل مصنوعاته ومخلوقاته، فيصبح الله هو المعبود والعابد في آن واحد.

ولقد كفر النصارى في قولهم بحلول الله بشخص عيسى المسيح، فما بالك بالنقشبندية الذين يقولون بحلول وفناء الله في كل ما نشاهده في هذاالعالم، فالكون عندهم هو عبارة عن مرايا أسماء الله وصفاته، وحين يتكلم مشايخ النقشبندية عن هذه المسألة يستدلون بقول أبي يزيد البسطامي: «سبحاني ما أعظم شأني»، وقول الحلاج «أنا الحق» الخ.. وسأفصل قول كل شيخ من مشايخهم فيما يتعلق بهذه القضية.

يقول أحمد الفاروقي: «وجدت الله عين الأشياء كما قاله أرباب التوحيد الوجودي من متأخري الصوفية، ثم وجدت الله في الأشياء من غير حلول ولا سريان.. ثم ترقيت في البقاء وهو ثاني قدم في الولاية فوجدت الأشياء ثانياً فوجدت الله عينها بل عين نفسي، ثم وجدته تعالى في الأشياء بل في نفسي ثم مع الأشياء بل مع نفسي إلخ».. (١)

---

(١) المواهب السرمدية ١٨٢، الأنوار القدسية ١٨١.

وسئل الشاه نقشبند عن قول البعض (إذا تم الفقر فهو الله) فقال هذا إشارة إلى الفناء ومحو الصفات وأنشد:

من كان حين لم تكن لم يك إلا الله
وإذا فنيت من بقى لم يبق إلا الله[1]

وقال عبيد الله أحرار في وصف العارف: إن العارف من فنيت ذاته وصفاته في ذاته تعالى وصفاته فلم يبق له إسم ولا رسم»[2]

ويقول الشيخ محمد بارسا صاحب شاه نقشبند: «إن حقيقة الذكر عبارة عن تجليه سبحانه لذاته بذاته في عين العبد». [3]

أي يصبح الذاكر هو نفس المذكور وبالعكس، فأين تتبع السنة عند هؤلاء «كما يزعمون».

ويقول عبيد الله أحرار[4] في قوله تعالى (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) [النجم ٢٩] أي أعرض عمن استغرق واستهلك في ذات الله تعالى، وإن ذكره حصل له فتور في الشهود فلا تكلفه (يامحمد) بالذكر ١. هـ قال المصنف: وإليه يشير ختم الأولياء المحمديين الشيخ الأكبر محيي الدين رضي الله عنه بقوله:

ألا بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه حالاً فإن الشمس ليس لها غروب[5]

---

(١) المواهب السرمدية ١٢٤، الأنوار القدسية ١٣٢.
(٢) الأنوار القدسية ١٦٧.
(٣) نفس المصدر ١٦٣.
(٤) وهذا الرجل هو أشد الطائفة توغلاً وغلواً «لهذه العقيدة الهدامة».
(٥) المواهب السرمدية ١٦١ - ١٦٢.

وقال في قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) أي أعطيناك شهود الأحدية في الكثرة[1] وقال مصنف كتاب المواهب بأن طريقة الذكر عند النقشبندية تورث في قلب الذاكر سر التوحيد[2] حتى يفنى عن نظره وجود جميع الخلق ويظهر له وجود الواحد المطلق في المظاهر». [3]

فالله تعالى يقول: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب، والشيخ الكردي يقول: ألا بذكر الله تزداد الذنوب فمن نصدق ومن نكذب؟ وللتصديق على كلام هؤلاء المشايخ القدامى يقول الشيخ المعاصر محمد مصطفى أبو العلا النقشبندي (المدير العام للتعليم الابتدائي والخاص بالأزهر) يقول:

«فاذا داوم (أي المريد) على المراقبة ترقى إلى مرتبة المشاهدة بأن ينكشف له بعين البصيرة أن أنوار وجود وحدة الذات الألهية محيطة بجميع الأشياء وأنه تعالى متجلٍّ بصفاته وأسمائه في مصنوعاته». [6]

وقال في تنوير القلوب: قال أبوسعيد الخراز: إذا أراد الله أن يوالي عبداً من عبيده فتح عليه باب ذكره فإذا إستلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس. ثم جعله على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجاب وأدخله دار الفردانية وكشف له حجاب الجلال والعظمة وإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي «بلا هو» فحينئذٍ يصير العبد زمناً فانياً». [5] وأنشد مؤلف تنوير القلوب يقول:

---

(١) الأنوار القدسية ١٦٢، أما القول الآخر فإنه منسوب كذلك للشاه نقشبند أنظر المواهب ١٦٥.

(٢) لا يغترن أحد بكلمة «التوحيد» فليس معناها هنا توحيد الله، وإنما حلوله ووحدته في خلقه.

(٣) المواهب السرمدية ٩٠.

(٤) رسائل القصور العوالي جـ ٤ ص ١٨٣.

(٥) تنوير القلوب ٥١٠، الرسالة القشيرية ١١٨ ـ ١١٩.

وبعد الفناء في الله كن كيفما تشاء   فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر(١)

إن الحجاب بين الله وخلقه لا ينكشف أبداً بدليل قوله تعالى: «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من «وراء حجاب» أو يرسل رسولاً [الشورى ٥١]. (تعالى الله عما يقول الظالمون).

ويقول الشيخ عبيدالله أحرار: «كمال الحمد أن يحمده العبد، ويعرف أنه لا حامد إلا هو تعالى وأنه (أي العبد) عدم محْض لا رسم له ولا اسم ولا فعل وإنما يبتهج سروراً بكونه تعالى جعله مظهراً لصفاته». (٢)

وشيخهم وإمامهم وقدوتهم في عقيدة الفناء بين ذات الله وذوات المخلوقين هو أبويزيد البسطامي إذ يقول:

«طلبت الله ستين سنة فإذا أنا هو». (٣)

ثم يقول الشيخ أحرار: «فإنه إذا تجلى الحق تعالى على قلبه (قلب السالك) بالتجلي القهري يمحو منه الغير والسوا فلا يبقى فيه إلا هو، فلا جرم يسمع في هذا القلب لمن الملك اليوم لله الواحد القهار، و(سبحاني ما أعظم شأني)، و(أنا الحق) و(هل في الدارين غيري). (٤)

هذه طائفة من أقوالهم فأي قول منها موافق لشرع المصطفى ﷺ؟ هذه هي عقيدة «وحدة الوجود» التي أجمع العلماء على تكفير القائل بها. وكما قلنا فإن الله قد أكفر قوماً قالوا باتحاد الله في المسيح عليه الصلاة والسلام، فقال: «لقد كفر الذين قالوا إن الله هوالمسيح بن مريم [المائدة

---

(١) نفس المصدر ٤٦٦.
(٢) الأنوار القدسية ١٦١.
(٣) البدء والتاريخ للمقدسي ٥/ ٩١.
(٤) المواهب السرمدية ١٦٢.

٧٢] فكيف بمن يزعمون أن الذي يذكر الله هو نفسه الله المذكور، أو أن كثرة الذكر تؤدي الى عدم الذاكر وعدم صفاته وفنائها في أسماء وصفات المذكور؟

ولئن قالوا بأن هذا يحدث في حال غيبتهم وتواجدهم ولم يتمالكوا أنفسهم، فالجواب على شبهتهم هذه ليس بالشيء الصعب، فالرسول ﷺ كان أعبد الناس وأخشاهم وأتقاهم لله، وكان الصحابي إذا اقترب منه وهو في صلاته يسمع له أزيزاً كأزيز المرجل، وكانت له حالات في العبادة وتلقي الوحي والبكاء عند تلاوة القرآن، ومع ذلك فلم ينقل عنه أنه حصلت له غيبة وصدر منه من الكلام ما ظاهره الكفر. وإن كان هؤلاء يزعمون أن لهم حالات مع الله ينسون فيها حياتهم وكل شيء وتصيبهم حالات تؤدي إلى غيبتهم وعدم شعورهم لما يقولونه! فالجواب على ذلك أسهل: فلقد حرم الله أن يقرب أحد من الصحابة الصلاة وهو في حالة سكر، وذلك قبل أن ينزل البيان الشافي بتحريم الخمرة، وكانت العلة في ذلك كما يقول رب العالمين «حتى تعلموا ما تقولون» [النساء ٤٣] فكيف يتعبد هؤلاء ربهم بعبادة لا يعلمون ما يقولون فيها؟ فيتعبدونه بعبادة هي أشد سكراً لهم من الخمرة نفسها؟!

ثم إن هذا الدين وسط بين الغلو والإفراط، فالغلو في الدين أمر غير محمود وإن كان مراد المرء الاستزادة من الخير.

فحديث الثلاثة الذين جاءوا رسول الله ﷺ مشهور، وفيه أنهم جاءوا يسألون عن عبادة رسول الله ﷺ فلما أخبروا بذلك كأنهم تقالوها (؛أي وجدوها قليلة) فقال أحدهم أما أنا، فأنا أصلي الليل أبداً وقال آخر: أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله

إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني».[1]

فالمداومة على الصوم هي خير، وكذلك المداومة على صلاة الليل هي خير، وترك الزواج ربما من أجل التفرغ للطاعات يبدو للمرء أنه خير، لكن وراء هذا الخير شر محض، فربما اصبح جسد الصائم ضعيفا لا يقوى على المجاهدة في سبيل الله، فيكـون المداوم على الصوم قد أهمل فريضة من فرائض الاسلام من أجل مداومته على نافلة، ومعلوم كذلك أن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وأما المداوم على صلاة الليل فربما تكاسل عن إطعام أهله والسعي في طلب الرزق من أجلهم، أو أنه أرهق جسده فأقعد مرة واحدة لا يعود بمقدوره القيام للصلوات المكتوبة فيكون قد ضيع فرضاً بنافلة.

وأما المعتزل للنساء فإنه قد لا تدوم مقاومته للنساء فيقع في الحرام ويرتكب كبيرة من الكبائر وهي الزنا، ومهما جاهد في مقاومة ذلك فإنه لن يكون كاولئك الصحابة الذين كانوا يسارعون إلى التزويج مخافة الوقوع في الحرام ومع صلاحهم ومع ورعهم وتقواهم فقد أغوى الشيطان أفراداً منهم فوقعوا في شيء من ذلك، فكيف بمن دونهم؟

فان كانت كثرة الذكركذلك تؤدي إلى هذا الكفر الصريح فالأولى كذلك تركها لانه وان كان الذكر من أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه، لكنه يودي بأولئك إلى التلفظ بأقوال فيها الاشارة إلى حلول الله في خلقه وممازجته إياهم وفنائهم فيه تعالى الله عن ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٠١) والبخاري ٦/ ١١٦ كتاب النكاح والبيهقي في السنن ٧/ ٧٧ وأحمد ٣/ ٢٨٥.

ثم إنه لا يمكنني أن أصدق بحال، أن عبادة صحيحة قائمة على اتباع الكتاب والسنة تؤدي بصاحبها إلى التلفظ بكلمات لم يجرؤ النصارى وغيرهم على قولها.

فكل عبادة مهما كان خيرها أودت بصاحبها إلى هذه الاقوال فهي ليست عبادة.

ولقد نهى الرسول ﷺ عن الوصال في الصوم أشد النهي فقال:

«لا صام من صام الأبد (ثلاثاً)»[1] مع أن الصيام طاعة.

ونهى عن اعتزال النساء واعتبر ذلك من رهبانية النصارى، مع أن ترك الزواج قد يمنح العابد فرصة أوسع ووقتاً أوفر في عبادته، لكن فيه خطر جسيم وهو الوقوع في الزنا، فكان يقول: «تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة ولا تكونوا كرهبانية النصارى».[2]

فما بالك بقوم يحرصون (بزعمهم) على مداومة الذكر حتى يأتيهم بما يسمى (الغَيْبَة) فتغيب عقولهم عما يقولون، ويصرّح الواحد منهم بالكفر البواح ويقول «أنا الحق، وسبحاني ما أعظم شأني، وما في الجبة إلا الله وغير ذلك من ألفاظ الكفر، ألا يكون هذا النوع من الذكر محظورا قياساً على صيام الدهر واعتزال النساء وقيام الليل بلا نوم؟ وهل من الدين أن يقول شاه نقشبند، والدهلوي، (وهما من كبار مشايخ هذه الطريقة)

كفرت بدين الله والكفر واجب لديَّ وعند المسلمين قبيح[3]

---

(١) مسلم (١٨٦)، بخاري ٢/ ٢٤٦ كتاب الصوم.

(٢) رواه البيهقي في السنن ٧/ ٧٨، والخطيب في تاريخه ٤/ ٢٦٩ وغيرهما (نقلا عن سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٧٨٢).

(٣) المواهب السرمدية ١٣٤، الأنوار القدسية ٢١٤.

فان كانت تعليلاتهم وتبريراتهم بأن ظاهر هذا الكلام يوهم الكفر، وإنما هو في باطنه كلام ذو معانٍ لا يتوصل إلى معرفتها إلا أولو المعرفة.

فالجواب أننا مأمورون أن نزن كل أمر بميزان الشرع - وهو الميزان الذي أنزله الله إلى البشر ليمشوا على ضوئه - والشرع هذا الذي يذمه المتصوفة مصدره من عند الله عز وجل فمن خالف الشرع فقد خالف صاحبه، والناس في متابعة الشرع والعمل به سواء فالرسول ﷺ كان أحرص الناس على تطبيقه فقال: «والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» مع أنه أفضل الخلق وسيدهم على الاطلاق فما رخص لنفسه شيئاً وما أتى أمراً أو قال كلمة في ظاهرها كفر وفي باطنها طاعة، بل كان كلامه صلوات الله وسلامه عليه من أطيب الكلام وأحسنه ظاهراً وباطناً، فإما إن الرسول ﷺ لم يتوصل إلى ما توصل إليه أصحاب هذه الطريقة من الوجد والأحوال والغيبة والفناء في ذات الله تعالى ففاته بذلك هذا الخير الذي حصل لهم، وإما أن يكونوا مغرورين، أضلهم الشيطان وزين لهم سوء أعمالهم فرأوها حسنة.

لا يعلم الغيب إلا الله

حين حصل للشاه نقشبند التكليف والولاية للطريقة إجتمع مع سلفه من أصحاب هذه الطريقة في المقبرة (وهم أموات) وأعطوه علامات الولاية، فقال له أحد خلفاء الشيخ عبد الخالق الغجدواني: تذهب غداً عند مولانا شمس الدين الأبنيكوني وتخبره بأن ما يدعيه فلان التركي على السقا هو صحيح والحق مع التركي فإن أنكر السقا صحة هذه الدعوى فقل له عندي شاهدان، الأول إنك ياسقاً عطشان، فهو يعرف معنى هذه الكلمة، والثاني إنك أتيت إمرأة أجنبية فحملت منك فسعيت بإسقاط الحمل ودفنته في الموضع الفلاني... ثم إذهب إلى نسف لخدمة السيد أمير كلال وستجد في المحل الفلاني شيخاً يعطيك رغيفاً حاراً فخذه منه ولا تكلمه... وإمضي على طريقك فتمر على قافلة إذا تجاوزتها إستقبلك فارس فانصحه فإنه ستكون توبته على يديك[1]... فحدث للشيخ نقشبند كل ذلك.

لقد علم هؤلاء ـ وهم في قبورهم ـ أن رجلاً وقع في الزنا وسعى بإسقاط الحمل فدفنه وعرفوا موضع دفنه، وعلموا أن ذاك الفارس سيقلّب الله قلبه على الإيمان في اليوم الفلاني على يد الشيخ نقشبند.

---

(١) المواهب السرمدية ١١٣ ـ ١١٥، الأنوار القدسية ١٢٨ ـ ١٢٩، جامع كرامات الأولياء ١٤٥ ـ ١٤٦.

وإلتقى الشيخ محمد القاضي بالشيخ عبيدالله أحرار ـ وهذا من مشاهير النقشبنديين ـ إلتقى به في قرية شادمان فحدثه الشيخ عبيدالله بكل ما في سره فرداً فرداً، فقال الشيخ محمد القاضي: فتيقنت أنه ما من خاطر إلا وقد إطلع عليه». [1]

وكذلك مكث مولانا عارف أولياء أربعين يوماً لمراقبة خواطر الناس في المسجد. [2]

وخطر ببال أحد الواقفين أمام الشيخ محمد سيف الدين الفاروقي ـ أحد أكابر النقشبندية ـ أن هذا الشيخ متكبر فالتفت إليه وقد كوشف بخاطره فقال له: «تكبري من تكبر الحق تعالى». [3]

وكذلك من كرامات الشيخ عبدالله الدهلوي تصرفه في باطن المريدين وإلقاء الفيوضات والأسرار في صدورهم. [4] ومن كراماته أيضاً أن زوجة أحد أصحاب هذا الشيخ قد مرضت، فالتمس من حضرته أن يدعو الله تعالى بتخفيف مرضها فلم يفعل، فألح عليه، فقال له: لا تبقى هذه المرأة أكثر من خمسة عشر يوماً، فبقدرة الله تعالى توفيت يوم الخامس عشر. [5]

أي مخالفة لهذا الدين أعظم من تلك الفرية العظيمة؟ كيف علم هذا الولي أن المرأة ستموت بعد خمسة عشر يوماً تماماً؟ أطّلع الغيب أم إتخذ عند الرحمن عهداً!.

---

(١) المواهب السرمدية ١٧٣، الأنوار القدسية ١٧٥، جامع الكرامات ٢/ ١٤٠.
(٢) المواهب السرمدية ٩٠.
(٣) المواهب السرمدية ٢١٥، الأنوار القدسية ٢٠٠، جامع الكرامات ١/ ٢٠٤.
(٤) المواهب السرمدية ٢٤٩، الأنوار القدسية ٢١٦.
(٥) المواهب السرمدية ٢٥١، جامع الكرامات ٢/ ١٢٩، الأنوار القدسية ٢١٧.

وفي هذه الكرامة المزعومة من مخالفة الشرع الشيء الكثير، فالله تعالى يقول: «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير». [لقمان ٣٤]

فالله تعالى يقول بأنه لا تدري نفس ماذا تكسب غداً، وهذا الدهلوي يزعم أنه يعلم ما تكسب نفس هذه المرأة المريضة، بأن حدد لها موعد موتها فمن نصدق؟ أنصدق الله في آياته أم نصدق ما كتبه أصحاب الطريقة النقشبندية عن توصل مشايخهم لعلم الغيب؟

وقد قال رسول الله ﷺ: «مفتاح الغيب خمس لا يعلمها «إلا الله» لا يعلم ما يكون في غد ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت وما يدري أحد متى يجيء المطر».[1]

وعن مسروق أن عائشة رضي الله عنها قالت له: «ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله.[2] [النحل ٦٥]

والأغرب من ذلك كله أن هذا الدهلوي يشرح أصول الطريقة النقشبندية ومزاياها فيقول: «وللنقشبندية تصرفات عجيبة من جمع الهمة على مراد فيكون على وفق الهمة... والتصرف في قلوب الناس والإشراف على خواطر الناس «وما يختلج في الصدور» و«كشف الوقائع المستقبلية

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإستسقاء ٢/ ٢٣، وأحمد في المسند، وابن ماجة في المقدمة ح (٥٢).
(٢) أخرجه مسلم ح (٢٨٧).

ودفع البلية النازلة».. وقال قبل ذلك «ودفع المرض».[1]

فانظروا إلى أعظم ما في هذه الفقرة وهو قوله بأنهم على علم «بما يختلج في الصدور وكشف الوقائع المستقبلية» فأي مخالفة للإسلام أعظم من ذلك؟ وماذا ينقصه بعد ذلك أن يقول بأنهم أي أهل هذه الطريقة يعلمون خائنة الأعين وما تخفي الصدور!.

(١) شفاء العليل ترجمة القول الجميل ١٠٤ طبع إسلامي أكادمي (لاهور ـ الهند).

الغلو في اطراء مشايخ هذه الطريقة

وللكتاب النقشبنديين أسلوب غريب وشاذ في تراجمهم لمشايخ الطريقة، فهم لا يتورعون عن إستعارة بعض الآيات القرآنية لاستعمالها في غير مكانها ليصفوا مشايخهم بها، مثال ذلك:

لننظر ترجمة شيخين من مشايخ الطريقة يذكرهم الشيخ محمد الكردي في كتابه المواهب السرمدية الأول: «وهو الدرويش محمد» والثاني «محمد الخواجكي الأمكنكي» فيقول عن: الدرويش محمد:

جمع من الخواطر شتاتها ووصل من العزائم بتاتها، وأحيا من النفوس أمواتها، وقدّر فيها من الخير أقواتها. .[1] والثاني وهو: محمد الخواجكي الأمكنكي:

لم يزل في بدايته بعين هدايته ملحوظاً، وفي ظل سلطنة تربيته محظوظاً، حتى صار لمناقبه لوحاً محفوظاً لا يدع فضيلة جليلة إلا أحصاها. . . فكان تلو والده كالشمس وضحاها والقمر إذا تلاها. . . فلا ذرة في العالم إلا وهو يمدها بالروحانية.[2]

وقال يّس السنهوتي في الأنوار حاكياً عن عبيدالله أحرار: وأما كشفه

(١) المواهب السرمدية ١٧٧، الأنوار القدسية ١٧٨.
(٢) المواهب السرمدية ١٧٨، الأنوار القدسية ١٧٨.

عن المغيبات وإخباره عن الخفيات. . . فهو أجلّ من أن يحصر أو يحصي».
وكذلك يصف يعقوب الجرخي بأنه: «وارث علم الغيوب».[1]

فليس للشيخ محمد بارسا (صاحب الشاه نقشبند) أن يغضب لهذه الطريقة، ويدافع عنها قائلاً بأنها من شرع المصطفى عليه الصلاة والسلام[2] لأن كل ما ذكرناه عن هذه الطريقة حتى الآن لايمت إلى شرع المصطفى بصلة.

---

(١) الأنوار القدسية ١٦٨ و ١٥٥.
(٢) المواهب السرمدية ٧٧، الأنوار القدسية ١١١ ـ ١١٢.

الحلاج «ومكانته عند النقشبندية»

لا تخلو كتب النقشبندية عن الإستدلال بكلام الحلاج، أو عن إمتداحه والتندم على ما وقع له من الصلب والتقتيل جزاء كفره وزندقته.

فالشيخ علي الراميتني يقول: «لو كان أحد على وجه الأرض من أولاد الشيخ عبد القادر الغجدواني موجوداً لما صلب الحلاج». [1] والغجدواني هذا هو أصل هذه الطريقة.

ما السبب في إظهار الندم على رجل كالحلاج، فالرجل كان مروجاً لعقيدة الحلول ووحدة الوجود، وكان جريئاً في إظهارها وإعلانها على أعين الناس، وكان يدعي الربوبية، وشرك كل من يقول بالتوحيد، وكان من المستميتين في الدفاع عن «إبليس وفرعون» وكان خبيثاً ماكراً فقد عرف عنه أنه كان يدفن أنواع الطعام والفواكه ثم يقول لأصحابه: إن رأيتم أن نخرج على وجه السياحة، فيقوم ويمشي والناس معه، فإذا جاؤوا إلى ذلك المكان قال له بعض أصحابه: نشتهي الآن كذا وكذا (وكان يطلع بعض هؤلاء السائلين على ما خبأه) فيتركهم الحلاج وينزوي عنهم إلى ذلك المكان فيصلي ركعتين ويأتيهم بذلك. [2]

ويقول أبو بكر بن ممشاد الدينوري: «حضر عندنا الدينور رجل

---

(١) المواهب السرمدية ٩٩، الأنوار القدسية ١٢١.

(٢) تلبيس إبليس ٣٨٦.

ومعه مخلاة فما كان يفارقها بالليل ولا بالنهار ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتاباً للحلاج عنوانه: من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان فوُجّه إلى بغداد فأحضر وعُرض عليه فقال: هذا خطي وأنا كتبته فقالوا كنت تدعي النبوة فأصبحت تدعي الربوبية[1] فقال: ما أدعي الربوبية ولكن هذا عين الجمع عندنا هل الكاتب إلا الله تعالى واليد فيه آلة؟. فقيل إن هذا سبب صلبه.

وهذا الرجل بلغ من الجرأة في الجهر بزندقته الشيء الكثير، فقد سمع رجلاً يتلو آيات من كتاب الله فقال الحلاج: «يمكنني أن أؤلف مثله وأتكلم به.[2]

وأرسل رسالة إلى أحد أصحابه قال له فيها: «ستر الله عنك ظاهر الشريعة، وكشف لك حقيقة الكفر، فإن ظاهر الشريعة كفر خفي، وحقيقة الكفر معرفة جلية».[3]

ولقد أفتى بأن الإنسان إذا أراد الحج ولم يتمكن، فليعمد إلى غرفة من بيته فيطهرها ويطيبها ويطوف بها فيكون كمن حج البيت». قال ابن كثير عقب هذه الرواية: وكان يقول لأتباعه: من صام ثلاثة أيام لا يفطر إلا في اليوم الرابع على ورقات أجزأه ذلك عن صوم رمضان».[4]

ويمتدح إبليس فيقول: «وما كان في أهل السماء موحد مثل إبليس» ثم يقول: «فصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون، وإبليس هُدِّد بالنار وما

---

(١) تلبيس إبليس ١٧١.
(٢) الرسالة القشيرية ١٥١ (مع اختلاف يسير) المنتظم ٦/ ١٦٢، تاريخ بغداد ٨/ ١٢١.
(٣) أخبار الحلاج ٣٥.
(٤) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٦ ـ ١٧، تلبيس إبليس ٣٧١، البداية والنهاية ١١/ ١٤٠.

رجع عن دعواه وفرعون أُغرق في اليم وما رجع عن دعواه، ولم يقر بالواسطة البتة». [1]

وهو أكبر داعية للحلول وإمتزاج الخالق بمخلوقه، تعالى الله عما يقوله هذا الزنديق، يقول:

مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة في الماء الزلال
فـإذا مسّـك شيء مسني فإذا أنت أنا في كل حال[2]

ثم يتكلم عن حلول الله بالحلاج في بدن واحد فيقول:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحـان حللنا بـدنـا
فـإذا أبصـرتني أبصـرتـه وإذا أبصـرتـه أبصـرتنـا[3]

وكيف تكون النقشبندية سليمة من الكفريات، وشيخها شاه نقشبند يستدل ببيت من الشعر (مليء بالكفر) قاله الحلاج من قبل، فقد كان الشاه نقشبند يقول بأن «التعلق بالسوي حجاب» والتخلص منه فاتحة الوصول ثم قال: أما سمعت قول الحلاج قدس الله سره وروحه:

كفرت بدين الله والكفر واجب لدي وعند المسلمين قبيح[4]

وقد قال حبيب الله جان جانان كلاماً في الحلول ووحدة الوجود ثم قال: «وهذا سر قول الحلاج «أنا الحق». [5]

فأهل الطريقة لم يحرصوا على هذا الزنديق، ولم يستعينوا بكلامه،

---

(١) الطواسين (للحلاج) ٤٢ و ٥١ ـ ٥٢.
(٢) البداية والنهاية ١١/ ١٣٤، تاريخ بغداد ٨/ ١١٥.
(٣) أخبار الحلاج ١٦، الطواسين للحلاج ١٣٤، تاريخ بغداد ٨/ ١٢٩.
(٤) الأنوار القدسية ١٣٤ و ٢١٤، أخبار الحلاج ٥٣.
(٥) المواهب السرمدية ٢٢٦ ـ ٢٢٧، الأنوار القدسية ٢٠٥، أخبار الحلاج ١٦.

إلا لأنهم بوافقونه على مسألة فناء ذات العبد في ذات معبوده، وإستحالتهما إلى رب واحد، فماذا تنتظرون من طريقة تكون هذه مبادئها وأسسها؟ أتكون من شرع الرسول ﷺ؟ وإين من الشرع وأين من السنة قول شيخهم نقشبند: كفرت بدين الله والكفر واجب؟ وقول شيخهم الآخر: أنا الحق، وسبحاني ما أعظم شأني، وما في الدارين غيري؟[1]

---

(١) المواهب السرمدية ١٦٢.

ابو يزيد البسطامي (عند النقشبندية)

وهذا عند كتّاب هذه الطريقة من أوئل السلسلة النقشبندية لذلك فهم يفردون له تراجم مستقلة ويقولون عنه كلاماً كثيراً ويعتبرون ذلك من مناقبه وكراماته مع أن ما سننقله عن هذه الكتب يعتبر من مصائبه وشطحاته وكفرياته.

فمن مصائب أقواله ما كان يقوله دائماً:

«سبحاني ما أعظم شأني»[1]

وصلى بالناس الفجر، والتفت بعد ذلك وقال: «إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني فتركه الناس وقالوا: مجنون، مسكين».[2]

وجاء رجل إلى أبي يزيد فدق بابه، فقال: من تطلب؟ فقال الطارق: أبا يزيد، فقال: ليس في البيت غير الله».[3]

وقال: «إن لله عليّ نعماً منها أني رضيت أن أُحرق بالنار بدل الخلق شفقة عليهم».[4] فقلت: وما أشبه ذلك بقول النصارى أن المسيح رضي أن يصلب على الخشبة ليخلص الناس من خطاياهم، وقول بولس بعد

(١) المواهب السرمدية ٤٨، الأنوار القدسية ٩٧ و ٩٩، تلبيس إبليس ٣٤٤.
(٢) المواهب السرمدية ٥٧، الأنوار القدسية ١٠٢، تلبيس إبليس ٣٤٥.
(٣) المواهب السرمدية ٤٧، الأنوار القدسية ٩٨.
(٤) الأنوار القدسية ١٠٣، تلبيس إبليس ٣٤١.

ذلك «يسوع الذي صلب ومات وهو الآن يتردى في جهنم ليخلصنا ويضحي بنفسه من أجلنا».[1] وقول فليبس: «(يسوع) الذي تألم لخلاصنا وهبط إلى الجحيم، وقول الراهب جواد بن ساباط في كتابه الصلاة: «كما أن المسيح مات لأجلنا ودفن فلا بد أن نعتقد أنه قد دخل جهنم». فهذا الكلام المنمق الذي يقوله البسطامي هو شبيه بكلام رهبانية النصارى وتفلسفهم، وكأنه يريد بذلك أن ينقل نظرية «المخلص» التي عند النصارى إلى دين الإسلام.

وقد بلغ الزهد عند أبي يزيد مبلغه حتى صار زاهداً فيما عند الله، إذ يقول: «أوقفني الحق بين يديه مواقف في كلها يعرض عليّ المملكة فأقول: لا أريدها، فقال: ما تريد؟ فقلت: أريد أن لا أريد».[2]

وإزداد الغرور فيه فقال: «وقفت مع العابدين فلم أر لي معهم قدماً، فوقفت مع المجاهدين فلم أر لي معهم قدماً، فوقفت مع المصلين والصائمين فلم أر لي معهم قدماً فقلت: يارب كيف الطريق إليك فقال لي: أترك نفسك وتعال».[3]

وكيف لا يتنزه أبو يزيد عن الصلاة والصوم والجهاد والعبادة، وهو صاحب المنزلة الرفيعة والمقام الأعلى؟ وكيف تليق به العبادات وهو الذي عشق الله لا عن عبادة ولا عن خوف ولا طمع وإنما عن حب لا تشوبه شوائب العبادات ولا الصلوات ولا الشرائع ليس هذا فحسب، بل إنه يتمنى أن يلقى الحساب عند الله عزوجل. يقول: «الناس يفرون من الحساب وأنا أتمناه لعله يقول لي يا عبدي فأقول: لبيك، فيفعل بي ما يشاء».[4]

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٣: ١٣.
(٢) المواهب السرمدية ٥٥، الأنوار القدسية ١٠١ ـ ١٠٢.
(٣) تنوير القلوب ٤٦٩، الأنوار القدسية ٩٨.
(٤) الأنوار القدسية ١٠٠.

وهو يرى أن العبادة والتعبد من شيم أهل «الدرجة الثانية» من البشر. يقول: «إطلع الله عز وجل على قلوب أوليائه فرأى منهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفاً، فشغله بالعبادة». [1] ويشجع الناس على فعل المعاصي فيصور لهم الطاعات بأنها آفات. يقول: «إن في الطاعات من الآفات ما يحتاج إلى أن تطلبوا المعاصي». [2]

فهذا الكلام موجود في كتب النقشبندية لا من قبيل إنكاره والرد عليه وإنما من قبيل موافقته والمصادقة عليه.

وإنما هذا النوع من الكلام جاء ليؤكد صدق وبعد نظر الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله حينما قال بأن من كان دعاؤه على غير الخوف والطمع فهو بالآخرة من المكذبين لأن من لم يخف عقاب الله ولم يرج ثوابه لم يبال ما ركب من أمر يسخطه الله ولا يرضاه». [3]

وليس هناك أدنى شك أن كل هذا الكلام المنقول عن أبي يزيد في كتب النقشبندية، هو مما يخالف الشرع، فكيف يزعم صاحب المواهب السرمدية (الشيخ محمد الكردي) بأن هذه الطريقة النقشبندية لم تزد ولم تنقص شبراً عن السنة بل هي طريقة الصحابة رضوان الله عليهم». [4]

إن ما وجدناه في كتبه يخالف إدعائه وزعمه، والله أسأل أن يهدني وأهل هذه الطريقة إلى تتبع السنة وتحريها من أصولها، لا من أصول أبي يزيد وكلامه الفاسد.

---

(١) المواهب السرمدية ٦١، الأنوار القدسية ١٠٤.
(٢) المواهب السرمدية ٥٠.
(٣) تفسير ابن الطبري ٨/ ١٤٧.
(٤) المواهب السرمدية ٥.

القيام على خدمة المشايخ ورزقهم وكسوتهم

(آداب المريد مع شيخه)

بينما يدعي الكثير من المشايخ «التوكل» ومعناه عندهم ترك التكسب ونزول السوق ـ حيث أن ذلك ينافي عندهم الثقة بالله ـ، فإنهم يعمدون إلى ما عند مريديهم من الأموال والطعام وغير ذلك. والمريد يخدم الشيخ بالمال والبدن ويسعى جاهداً لإرضاء شيخه كي يحصل منه على الإذن بالتكليف والولاية، لكن الشيخ لا يعطيه ذلك بسهولة، لأن معناه أن الشيخ يقطع رزقه بيده، فهو لا يعطيه الإذن حتى يجد مريداً آخر يكمل رسالة المريد الأول في إطعام الشيخ وكسوته فعلاقة الشيخ بالمريد أوجدت عند الكثير من المشايخ جاهاً ومالاً كثيراً، فأصبحوا مشايخ أشبه بملوك. وكل الطوائف الصوفية تحث على خدمة المريد لشيخه وعدم الإعتراض على الشيخ وإن أخذ كل أموال مريده فلعله يمتحنه بذلك، فيسقط في هذا الإمتحان وهو لا يدري.

والنقشبندية هي واحدة من تلك الطوائف التي تدعو مريديها لخدمة مشايخهم بالمال والبدن والبذل لهم مهما كان ذلك ثميناً.

فمن آداب المريد عندهم: أن يكون مستسلماً منقاداً راضياً بتصرفات الشيخ يخدمه بالمال والبدن لأن جوهر الإرادة والمحبة لا ينبني إلا بهذا الطريق. (١)

---

(١) تنوير القلوب ٥٢٨.

وقال عبيدالله أحرار كبير أوليائهم: «وظن بعض الناس أن الإشتغال بالنوافل أولى من الخدمة وليس كذلك فإن نتيجة الخدمة المحبة، وميل القلوب لأنها جبلت على حب من أحسن إليها، وفرق بين ثمرة النوافل وثمرة الخدمة». [1]

قوله هذا خطأ صريح، لأنه إن كانت القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، فهي مجبولة على حب خالقها أكثر من شيخها لأن إحسان الله لعباده ونعمه عليهم لا تعد ولا تحصى، وفضله عليهم لا يقارن بفضل الشيخ، فكيف تُترك النوافل التي هي شكر الله على نعمه التي لا حصر لها، كيف تترك ويكون الأولى منها خدمة الشيخ؟

وكذلك يقول الشيخ محمد الكردي: «قال بعضهم الخدمة عند القوم من أفضل العمل الصالح». [2]

وهذا لا يحتاج إلى الرد عليه، فكل عاقل لا يقبل أن تفضل خدمة الشيخ على العمل الصالح الذي هو لله عز وجل.

وكذلك يقول: «واخدم المشايخ بالمال والبدن ولا تنكر على أفعالهم فإن المنكر عليهم لا ينجو». [3] ثم يصنع أصولا لعلاقة وآداب المريد مع شيخه. فمن ذلك:

١ ـ «أن يرى كل نعمة إنما هي من شيخه». . [4] ومن هنا إبتدأت رائحة الشرك تفوح، فالتحدث بنعم الله أمر مرغوب في الإسلام، أما رؤية

---

(١) المواهب السرمدية ١٦٣، الأنوار القدسية ١٦١.
(٢) تنوير القلوب ٥٣٠.
(٣) المواهب السرمدية ٧٩، الأنوار القدسية ١١٢.
(٤) المواهب السرمدية ٤٩٤ ـ ٤٩٥، تنوير القلوب ٥٢٩.

النعم كلها على أنها من الشيخ ففي ذلك نظر.

٢ - أن لا يعترض عليه فيما فعله ولو كان ظاهره حراماً، ولا يقول لم فعلت كذا؟ لأن من قال لشيخه لم؟ لا يفلح أبداً فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن». . . ثم قال: «وفي هذا المعنى قال بعضهم:

وكن عنده كالميت عند مغسل   يقلبه ما شاء وهو مطاوع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره   عليه فإن الاعتراض تنازع
وسلم له فيما تراه ولو يكن   على غير مشروع فثم مخادع[1]

لقد أوقعنا صاحب كتاب تنوير القلوب في الحيرة، فتارة يقول بأن على المريد أن يكون بين يدي الله كالميت بين يدي غاسله،[2] وتارة أخرى يجعل ذلك للشيخ فيقول بأن على المريد أن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي غاسله، فبين يدي من يكون هذا المريد كالميت لا حركة ولا تدبير؟ بين يدي الله أم بين يدي الشيخ؟

ومن آداب المريد مع شيخه عند النقشبندية ألا يعترض عليه فيما فعله ولو كان ظاهره حراماً.[3]

وكيف لا يعترض عليه، وقد تميز هذا الدين عن غيره أنه لا يقبل المنكر أبداً، بل إن عدم الإعتراض على المنكر يوشك أن ينزل بأصحابه الهلاك والسخط من الله. لأن الإعتراض والإنكار أمر رباني يجب طاعته والعمل به، قال تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس

(١) تنوير القلوب ٥٢٩.
(٢) تنوير القلوب ٤٧٩.
(٣) تنوير القلوب ٥٢٨.

تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله». [آل عمران ١١٠]

فالله أمرنا أن ننهي عن المنكر سواء كان ظاهره حراماً أم باطنه، فهو يعلم طاقة عباده ومقدوراتهم. وهو يعلم أنهم لن يتوصلوا إلى حقيقة ما كان ظاهره حراماً أيكون حراما في في باطنه أم لا؟ فالبشر لا يطلعون إلى بواطن وسرائر بعضهم وإنما ينكرون حسب ما يرون في الظاهر فليس من الفطنة أن يتوقف المنكر عن الإنكار فيما يرى ظاهره حراماً، لأن الظاهر أمر يقيني ومخالفة الباطن لظاهر المعصية أمر مشكوك فيه، فكيف يقدم الظن على اليقين؟

وليس من دين الإسلام أن يخاف مشايخ المنكر إنكار المنكرين، فلو أنهم أحسنوا العمل لما خافوا الإنكار، فقد روي عن عمر رضي الله حين توليته الخلافة أنه أمر الناس ألا يسكتوا عن منكر إذا وقع فيه، فقام إليه رجل وقال: والله لو علمنا فيك إعوجاجا لقومناه بحد هذا السيف». فما غضب عمر رضي الله عنه لذلك، وما قال له كما يقول مشايخ السوء للمعترض عليهم: أنت مطرود من حضرة الربوبية. بل إنه تلقى ذلك بالقبول والسرور، وكذلك حين تولى أبو بكر الخلافة فقال: «أيها الناس أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم».

فما الذي يدعو المشايخ إلى التخوف من الإنكار؟ إن خوفهم من الإنكار هو أكبر دليل وأوضح علامة بأنهم على غير السنة، فمن كان يمشي على صراط مستقيم لا يخاف الإعتراض، ومن يمشي مكباً على وجهه فلن يسلم من الإنكار الذي هو أجمل وأروع ميزة لهذه الأمة.

ثم يقول صاحب المواهب السرمدية (الذي هو صاحب تنوير القلوب):

«إعلم أن كل ما وضعوه من الآداب للمريدين كتغميض العين وقت الذكر، وإغلاق الأبواب عن الإجتماع للمراقبة» فينبغي لك أن تتلقاه بالقبول وتعلم أنهم أقتبسوه من مصباح السنة، فإذا رأيت أدباً من آدابهم ولم تعرف مأخذه من السنة فلا ينبغي أن تطيل لسانك بالإعتراض عليهم». [1]

إن الإعتراض عليهم في شيء فعلوه وليس من الدين، لا يعتبر طول لسان، بل هو حفظ للشرع وتقديس هذا الدين بدل تقديس المشايخ ومخافة طردهم له من حضرة الله، وكم ذكرني ذلك بالحرمان الذي كان يقرره رجال الكنيسة على من يشاؤون في العصور الوسطى، فكانوا كلما إعترض عليهم أحد يخرجون له وثيقة الحرمان - وهي حرمانه من دخول الجنة. وما هؤلاء منهم ببعيد.

أما قوله بأن تغميض العينين هو من الآداب التي وضعها مشايخ النقشبندية لمريديهم، فهذا خلاف السنة ولم يكن ذلك من هديه ﷺ.

قال ابن القيم رحمه الله: «ولم يكن من هديه ﷺ تغميض عينيه في الصلاة». [2] ثم ذكر رواية للبخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال: كان قرام لعائشة، سترت به جانب بيتها، فقال النبي ﷺ: «أميطي عني قرامك هذا، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي»

---

(١) المواهب السرمدية ٣٢٣.
(٢) زاد المعاد ١/ ٢٩٣ - ٢٩٤.

قال ابن القيم: فلو كان يغمض عينيه في صلاته، لما عرضت له في صلاته». [1]

وكذلك روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ صلى في خميصة لها أعلام، فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما إنصرف قال: «إذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم، وأتوني بانبجانية أبي جهم، فإنها ألهتني آنفاً عن صلاتي». [2]

وبالنهاية فالرجل يريد منها التغاضي عن السنة والدليل إكراماً للمشايخ، ولا يجب علينا أن نتغاضى عن أمر نابه المشايخ، إنما يجب علينا أن نتغاضى عن وضع ما أمرونا به في ميزان الشرع، وهنا تظهر البدعة عند أولئك الجماعة. فهؤلاء لما رأوا أن العقل لا يقبل تشريعاتهم المخالفة للشرع سارعوا إلى ضرب العقل وتعطيله بتخويفه وتهديده من الإعتراض بحجة أن ذلك يحجب عن السالك إكمال الطريق.

ومن آداب المريد: أن لا يتزوج زوجة طلقها شيخه أو مالت نفسه إليها. [3]

وفي ذلك فتح لباب التنعم على مصرعيه لحضرات أولياء النقشبندية فبعد أن علمنا أن خدمة مشايخ النقشبندية أفضل من العمل الصالح وأفضل من الإشتغال بالنوافل، وبعد أن علمنا أنه لا يجوز الإعتراض عليهم ولو فعلو حراماً، يضاف إلى ذلك أنه لا يجوز للمريد زواجه من إمرأة قد طلقها شيخه، وما وجه ذلك التحريم إلا

(١) أخرجه البخاري ١/ ٩٩ وأبو داود (٩٩٠).
(٢) أخرجه البخاري ١/ ٩٨- ٩٩، ومسلم (٥٥٦) وأبو داود (٩١٤) وأحمد ٦/ ٣٧.
(٣) تنوير القلوب ٥٢٩.

أن يكون الشيخ في نفس مقام النبي؟

إذ قد حرم الله على أصحاب رسول الله ﷺ أن ينكحوا أزواجه من بعده فقال: «وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً. [الأحزاب ٥٣]

وهذا خاص بالنبي ﷺ دون غيره، وإلا فقد ثبت أن كثيراً جداً من الصحابة قد تزوجوا نساء من بعد طلاقهن من صحابة آخرين، أو من بعد موت آخرين عنهن، فهذه أسماء بنت عميس قد تزوجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومات عنها في غزوة مؤتة ثم تزوجها من بعده أبو بكر الصديق في حياة النبي ﷺ ثم تزوجها علي من بعد أبي بكر، وهؤلاء أحب إلى الله وأعظم عنده ممن بعدهم، وكذلك عرض أحد الأنصار إحدى زوجتيه على عبد الرحمن بن عوف أيما تعجبه حتى يطلقها له. فلا يجوز أن يرفع مشايخ النقشبندية أنفسهم إلى مرتبة النبوة، لأن تحريم الزواج من إمرأة بعد طلاقها إنما كانت للنبي ﷺ وحده، لا لصحابي ولا تابعي ولا غير ذلك. وليس هؤلاء المشايخ بأعلى مقاماً ورتبة من أفضل البشر بعد الأنبياء (أعني الصحابة).

ومن آداب المريد أن لا يشير على شيخه برأي . . . بل يرد الأمر إلى شيخه إعتقاداً منه أنه أعلم منه بالأمور وغني عن إستشارته.(١)

لقد ضرب المؤلف بهذه القاعدة الشاذة قوله تعالى: «وشاورهم في الأمر». [آل عمران ١٥٩] حقاً لقد كان خلق رسول الله ﷺ القرآن كما وصفته عائشة رضي الله عنها،(٢) فقد إستشار الأنصار يوم غزوة بدر فكان

---

(١) تنوير القلوب ٥٢٩.

(٢) أخرجه مسلم (٧٤٦)، وأحمد في المسند ٦/ ٥١ ـ ٥٢.

يقول: «أشيروا علي أيها الناس «يريد الأنصار».[1]

ونزل ﷺ على أدنى بئر من بدر فقال له الحباب بن منذر: يارسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال يارسول الله فان هذا ليس بمنزل، فإنهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتنزل ثم نغوّر ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي»،[2] فنهض رسول الله وفعل ما أشار إليه الحباب، وكان هو الرأي الصواب.

فالنبي لم يكن غنياً عن مشورة أصحابه وهو المعصوم ﷺ، فكيف يحرم عند النقشبندية أن يشير المريد على شيخه برأي؟

فلو قالوا بأن هذا يبدو غريباً في ظاهره لكن له بواطن ذات تعليلات لم تحيطوا بعلمها، قلنا هاتوها لنا حتى يتبين لنا ذلك. ثانياً: إذا لم نزن الأمور بميزان الشرع فبم نزنها؟ أنزنها بشرع الفلاسفة أم أبناء النصارى أم بماذا نزن الأمور؟ إن من الإسلام أن نرجع في كل أمر إختلفنا عليه إلى الشرع الرباني الذي يعطي الأمور وزنها الصحيح وقيمتها الحقيقية.

قال تعالى: «فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً». [النساء ٥٩] وقال جل شأنه: «وما إختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله». [الشورى ١٠] فما وجدنا مخالفاً لحكم الله فلا نقبل به وإن زينوه لنا وحسنوه بالعبارات المزركشة والألفاظ المزخرفة.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٨٨/ ٢.
(٢) نفس المصدر ١/ ١٩٢/ ٢.

وأما أن يقول القائل بأن الشيخ غني عن إستشارة مريده، فإنه تنزه عن شيء لم يتنزه عنه أفضل الخلق صلوات الله وسلامه عليه وأن يترفع عليه.

الوسيلة بين الله والمريد

قال الشيخ الكردي: «إن طلب الشيخ هو عين طلبه تعالى (وابتغوا إليه الوسيلة) [المائدة ٣٥] الرفيق ثم الطريق، من لا شيخ له فالشيطان شيخه [1]... ثم قال: إن الشيخ مقصود ومطلوب فالشيخ كالكعبة يسجدون إليها والسجود لله، وهكذا الشيخ».

أنظر كيف يحرفون معاني الآيات لترويج بضاعتهم وجمع الناس حول مشايخهم. إذ ليس معنى الآية أن يتخذ المرء واسطة له مع الله، ولا يجوز التفسير بالرأي بحال. فقد فسر ابن عباس (الوسيلة) أي القربة وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن وقتادة وابن كثير والسدي وابن زيد، أما معنى «القربة» فهي كما قال قتادة: أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، قال ابن كثير: وهذا الذي قاله الأئمة لا خلاف فيه.

وهناك معنى آخر للوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وقال الرسول ﷺ: «وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة». [2]

فالوسيلة هي القربة إلى الله بالعمل الصالح، لا بالشيخ الذي هو عند الشيخ الكردي كالكعبة يسجدون إليها والسجود إلى الله، وهذا

(١) المواهب السرمدية ٣١٣، الأنوار القدسية ٥٢٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٢ - ٥٣، زاد المسير ٢/ ٣٤٨ فتح القدير ٢/ ٣٨ تفسير الطبري ٦/ ١٤٦ - ١٤٧.

قريب من قوله تعالى حاكياً قول المشركين: «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى». [الزمر ٣]

ونظام الواسطة هذا معروف عند النصارى، فالتائب عندهم لا تقبل توبته إلا بواسطة القس يعترف إليه بما أذنب فيقبل توبته ويبارك له، ثم يتبارك القس ببعض أمواله والله تعالى أقرب إلى عباده من ذلك قال سبحانه: «وإذا سألك عبادي عنى فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون». [١٨٦ البقرة]

إن حاجة طالب العلم إلى شيخ يوجهه وينفعه بعلمه هو أمر مشروع بل ومستحب ولا شيء فيه. لكن المشايخ ليسوا مشايخ النقشبندية ـ ولا مرادهم من جمع الأتباع والمريدين تثقيفهم فقهياً وعقيدياً، وإنما مرادهم توصيلهم بالفناء في ذات الله، وإجتماعهم وإياهم على أذكار وأوراد مبتدعة وهذا النوع من المشيخة ليس من النوع الذي يبحث عنه طالب العلم.

فالمشيخة عند النقشبندية «ديكتاتورية» تحرم المريد من الشراء والبيع والزواج والأخذ والعطاء إلا بإذنهم وتمنعه من الشور والإعتراض والرأي، وتأمره بالخدمة وبذل الأموال ويفتون له أن هذا من أفضل العمل الصالح كما ذكرنا كل ذلك آنفاً. أهذه مشيخة أم مستعمرة؟

ثم إنهم يرون أن المريد لا يمكنه التوجه إلى الله إلا بواسطتهم، فقد قال الشيخ نقشبند ما يلي: «(فمن آداب الذكر): أن يكون المريد متوجهاً إلى شيخه يستمد منه، ويعتمد أنه لا يقدر أن يتوجه إلى الله تعالى إلا بواسطته. [١]

(١) المواهب السرمدية ١٧٠، الأنوار القدسية ١٦٧.

فالتوجه إلى الله محجوب عن المريد إلا بشيخ يفتحه له، ما أشبه ذلك بدين النصارى وللإزدياد في الشرك فإن من أركان الذكر عندهم، وضع صورة الشيخ في مخيلة المريد في كل وقت يريد به المريد التوجه إلى الله، فكيف يخلص هذا المسكين في التوجه إلى ربه؟

فإن ملازمته صورة الشيخ بين عيني المريد هو من أصول الذكر عند النقشبندية،[1] وهذا ينافي إفراد الله بالتوجه لدى المريد، أيريدون أن يكون لله نصف الصلاة وللشيخ النصف الثاني لقد نهى المصلي عن أن يرائي في صلاته، فلا يزينها إن علم أن أحداً ينظر إليه أو لا يتكلف في ذلك، والمصلي الفطن يحرص أن لا ينقص من صلاته ثوابها، فيحذر كل الحذر أن يبتغي بها وجه أحد غير الله، أو أن يفكر في أي شيء دنيوي يأخذ من صلاته أجرها، فقد قالوا: الصلاة من الآخرة فإن دخلت فيها إنقطعت من الدنيا، وليس الحال هذا في الصلاة وحدها، وإنما ذلك في كل عمل من أعمال البر.

فنحن منهيون إذا دخلنا في الصلاة أن يدور في فكرنا أي شيء يتعلق بأمر من أمور الدنيا، لأن الوجهة ساعتئذ تكون إلى الله وحده، والقبلة إليه لا ينازعه في ذلك شيخ ولا ولي ولا نبي ولا أي مخلوق.

وكما أن التوجه إلى الله في الصلاة أمر ضروري لضمان الإخلاص وحسن لتوجه، فكذلك في الذكر وفي الدعاء وكل أعمال البر، فمن الذي أجاز ـ بل حتم علينا ـ أن نتخذ شيخاً «للتقرب به إلى الله زلفى» وإتخاذه كإتخاذ الكعبة للصلاة كما يقول أولئك؟ ومن الذي حتم علينا أن نضع صورته في مخيلتنا عند كل وقت نتوجه فيه إلى الله؟ فهذا ليس من دين

---

(١) شفاء العليل للدهلوي ٧٨ و ٩٠، المواهب السرمدية ٤٩٤، الأنوار القدسية ١٤٥ تنوير القلوب ٥١٧.

الإسلام في شيء، وإنما يصح عند المزدكية والغنوصية وملل الشرك الأخرى من النصارى وغيرهم.

وماذا يريد المشايخ أكثر من تلك السلطة؟ فهم يستأثرون بأموال مريديهم وأنفسهم، ويتصرفون فيهم بما يجوز في الشرع وما لا يجوز، ويطلبون منهم خدمتهم وطاعتهم ولو في مخالفة الشرع المنزل من عند الشارع سبحانه، وهم الواسطة بين العباد وإلههم، وهم الصورة التي في خيال المتوجهين إلى الله عز وجل، فأي سلطان وأي مال وجاه تحقق لهم باسم ما يسمى بـ «قصة الشيخ والمريد». فبذلك يكونون هم المالكين لكل ما يطلبون، لكنهم يفقدون شيئاً واحد من جملة ما يفقدون وهو «رضوان الله» وينالون من جملة ما ينالون «سخط الله وغضبه عليهم» لأنهم أحيوا بذلك قصة «الراهب والمذنب» ولكن أحيوها في دين الإسلام واستغلوها أبشع الإستغلال فلا حول ولا قوة إلا بالله.

كراهية العلم

وكما أسلفنا فإن مشايخ الطائفة النقشبندية ليسوا أصحاب حلق علم، من فقه وعقيدة وحديث لكنهم مشايخ طريقة توصل المريد إلى الفناء في ذات الله عن طريقهم. أما عن موقفهم من العلم فهم في هذا وباقي الصوفية سواء، لأنهم يرون أن العلم مشغلة، إذ طريقه طويلة جداً وشاقة، بعكس طريق التصوف فربما يكتسب المريد العلم عن الله بلا واسطة فتحدث له التجليات فيكتسب العلم كله ربما في ساعة واحدة عن طريق التجليات الإلهية. ولهذا فالطريق إلى العلم عن طريق الكتب هو من الآفات. وقد روى القشيري عن أبي بكر الوراق قوله: «آفة المريد ثلاث: التزويج وكتابة الحديث والأسفار». [1]

ويقول أبو يزيد البسطامي مخاطباً أهل الحديث: «أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت». [2] ومن هم الأموات الذين أخذ أهل الحديث عنهم العلم؟ لقد أخذوه عن التابعين ومن قبلهم الصحابة عن رسول الله ﷺ الذي قال الله فيه «وإن تطيعوه تهتدوا» [النور ٥٤] أن الهداية لا تكون إلا بهذا الطريق، ومن يبتغ غير هذا الطريق ديناً فلن يقبل منه، وذلك قوله تعالى: «ومن يبتغ غير الإسلام

(١) الرسالة القشيرية ٩٢.

(٢) طبقات الشعراني ١/ ٥، الفتوحات المكية ١/ ٣٦٥، تلبيس إبليس ٣٤٤ و ٣٢٢، المواهب السرمدية ٤٩، الأنوار القدسية ٩٩.

ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. [آل عمران ٨٥]

وحين يسمع المؤمن قوله تعالى «وأطيعوا الله ورسوله» فكيف يتسنى له طاعة الله ورسوله إن لم يكن على علم بالأوامر والنواهي الواردة في السنة ناهيك عن الكتاب - إذ أن في السنة من الأمور ما لا يوجد في القرآن، والمثال على ذلك أنه حينما يقول الله تعالى في كتابه «وأقيموا الصلاة» [النور ٥٦] لم يفصل كيفية إقامتها، وحينما قال: «أن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً» [النساء ١٠٣] لم يأت على ذكر تحديد المواقيت، فمن أين نعلم ذلك إن لم نعلمه عن طريق تعلم السنة؟ . . . فبهذا لا يصح أن يقال بأن كتابة الحديث من آفات المريد ومشغلته، ولا يصح أن يكون الدين الإسلامي دينين، دين يتلقاه أبو يزيد عن ربه مع تصريحه بالإستغناء عن الدين الذي أنزله الله على رسوله، وديناً أنزله الله على رسوله وقال عنه: «وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله» [الأنعام ١٥٣] فهذه الآية مع قوله تعالى «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين [آل عمران ٨٥] تقطعان الطريق على كل ملحد يزعم لنفسه ديناً آخر يتلقاه عن غير هذا الطريق، فلا دين بغير هذا الطريق، والمنة من الله تعالى تتمثل في إرساله الرسول وتبليغه إياهم هذا الدين وتعليمه إياهم ما ينجيهم من النار، ويقربهم من الجنة، قال تعالى: «لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين». [آل عمران ١٦٤]

وقد فسر ابن كثير وغيره (الحكمة) هنا بمعنى السنة،[١] والمنة العظيمة من الله أن يرسل رسولاً يتلو على المؤمنين كتاب الله ويفصل لهم

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٤٢٤، تفسير الطبري ٤/ ١٠٨.

ذلك في السنة المتمثلة في أقواله وأفعاله صلوات الله وسلامه عليه، فالقرآن يصرح بأن هذا الطريق هو المنة العظيمة، وأبو يزيد يزدريه ويسميه بعلم الأموات، وأبو بكر الوراق يجعله آفة للمريد، وكلام هؤلاء ضرب للشريعة ودعوة إلى الناس بالإعراض عنها.

بل إن القشيري يحكي عن أحد مشاهير الصوفية أنه سئل عن سؤ أدب الصوفيين مع الله تعالى في أحوالهم فقال: إنحطاطهم من الحقيقة إلى العلم». [1] وكذلك روي عن الجنيد أنه قال: «إذا لقيت الفقير (أي الصوفي) فألقه بالرفق ولا تلقه بالعلم، فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه». [2]

وكذلك سئل الجنيد عن قول القائل (إقطع القارئين وصل الصوفيين) فقيل له: من القارىء ومن الصوفي؟ فقال: «القارىء هو المشغول بالإسم والصوفي هو المشغول بالمسمى». [3] فطالب العلم عند الجنيد مشغول عن الله بدراسة أسمائه وصفاته أو بدراسة الحديث أو غير ذلك، أما الفقير فهو مشغول بالله عن العلم به.

بل إنه يأتي بها صريحة ومن غير مواربة حين يقول: «أحب للمبتدىء ألا يشغل نفسه بهذه الثلاث وإلا تغيرت حاله:

١ - التكسب
٢ - طلب الحديث
٣ - والتزوج

---

(١) الرسالة القشيرية ١٢٦.
(٢) نفس المصدر ١٢٤.
(٣) الأنوار القدسية ١٣٢.

وأحب للصوفي ألا يقرأ وألا يكتب لأنه أجمع له». [1] ويقول أبو سليمان الداراني (وهو كبير الصوفية): «إذا طلب الرجل الحديث أو سافر في طلب المعاش أو تزوج فقد ركن إلى الدنيا». [2]

ويقول أبو يزيد البسطامي: «أشد المحجوبين عن الله ثلاثة: الزاهد بزهده، والعابد بعبادته، والعالم بعلمه. [3]

فالعلم عند أولئك القوم مشغلة وضياع وقت بل هو حجاب عن الله تعالى. أما العلم في دين الإسلام فإنه محمود، ولذلك فقد حث عليه المحدثون في كتبهم وجعلوه في أوائل أبوابهم. وإنما المذموم في العلم تعلمه لغير الله، أو تعلمه مع عدم العمل به.

فقد قال رسول الله ﷺ: «ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة». [4] وقوله ﷺ: «إنما العلم بالتعلم»[5] وكذلك قوله: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين». [6] وقوله صلوات الله عليه: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم». [7]

إذن، فليس العلم مشغلة وإنما هو طريق إلى الجنة، ونور يكشف عورات هذه الظلمات التي يدعو لها أرباب التصوف عوام الناس، لأنه بالعلم يتكشف للناس حقائق طرقهم وزيف أقوالهم المزخرفة بفن الكلام.

---

(١) قوت القلوب ٣/ ١٣٥.
(٢) الفتوحات المكية ١/ ٣٧.
(٣) الأنوار القدسية ٩٩.
(٤) أخرجه البخاري ١/ ٢٥ كتاب العلم، وابن ماجة في مقدمة سننه (٢٣٦) وأبو داود والترمذي في كتاب العلم.
(٥) أخرجه البخاري ١/ ٢٥.
(٦) أخرجه البخاري ١/ ٢٥ وابن ماجة في مقدمة سننه (٢٠٨).
(٧) رواه الترمذي (٢٦٨٦) وقال حديث حسن.

وبالعلم يتبين المنكر، وبالعمل به يتم الإنكار، ولطالما كان الإنكار حجر عثرة أمام الصوفيين، يؤرق جفنهم، ويعيق طريقهم، فإنك تجد في كتبهم الدعوة إلى تركه، والملل منه، فبغير العلم لا يعلم المرء المنكر، ولذلك نفّروا الناس منه وشغلوهم بحلقات «الرقص» ونوادي «الوجد والسماع» ولبس «الخرقة» والتزام «الخلوات» وغير ذلك، فالحمد لله الذي عافانا مما إبتلى به هؤلاء.

يزعمون حب الله من غير خوف ولا رجاء

ومن قال بأنه يعبد الله عبادة مجردة عن الخوف من ناره، أو الطلب لجنته فهو مخطيء، ولو كان مراده بذلك أنه يعبده حباً له لا يهمه في هذا الحب أي مصلحة، ولا يجبره عليه تخويف من نار فإن علاقة العبد بربه هي علاقة خوف وإجلال وتعظيم، ومحبة العبد لربه لا تنفصل عن هذا الخوف والإجلال والتعظيم، فحبنا لله ليس كحب أحدنا للآخر.

وعبادة الله أيضاً هي عبادة خوف وطمع، خوف دائم من مكر الله، لأن الرجل إن أصبح مؤمناً لا ينبغي أن يأمن أن يمسي كافراً، وخوف من عذاب الله وعقابه، ولو كان في عبادته على أحسن حال، فهاهو عمر رضي الله عنه كان أحد العشرة المبشرين بالجنة ومع ذلك فكان يقول: «ليت أم عمر لم تلد عمر» وغيره الكثير من صحابة رسول الله ﷺ وهؤلاء هم خير عباد الله. قال تعالى: «ويرجون رحمته ويخافون عذابه» [الإسراء ٥٧] وقال: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً». [السجدة ١٦]

أما ما قاله الشيخ محمد أمين الكردي في كتابه (تنوير القلوب):

أحبك لا أرجو بذلك جنة ... ولا أتقي ناراً وأنت مراد
إذا كنت لي مولى فأية جنة ... وأية نار تُتقى وتراد[1]

(١) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ٤٨٦.

وقد قال يّس بن إبراهيم السنهوتي صاحب (الأنوار القدسية في مناقب النقشبندية) وهو أسوأ من ذلك بكثير: «إن أهل الله لا ينظرون في أعماله إلا إلى الله، قالت رابعة العدوية رضي الله عنها: ما عبدتك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك ولكن لوجهك الكريم. ثم قال بأن من يعبده خوفاً من شيء أو طمعاً فقد أشرك شركاً خفياً، ونقل كلاماً عن أرسلان الدمشقي يقول فيه: والكفر به على المخلصين واجب، لأن من عبده لأجل الجنة والنار فقد عبد الجنة والنار وهو طاغوت». (١)

فهذا النوع من الحب مجرد من الخشية من الله تعالى وكل عبادة لله تعالى لا ينبغي تجردها من الخوف والرجاء قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان (يعني الخوف والرجاء في قلب عبد في مثل هذا الموطن) (يعني الإحتضار) إلا أعطاه الذي يرجو، وأمنّه الذي يخاف». (٢)

فالخوف والرجاء في العبادة ككفتي ميزان، والأعجب من ذلك أن يصف الشيخ أرسلان الدمشقي كل عابد لله لأجل جنته وإتقاء نقاره بأنه «طاغوت»، فلم يكتف بمخالفة صريح قول الله تعالى: «وادعوه خوفاً وطمعاً» بل حشر كل عابدٍ لله خوفاً وطمعاً مع زمرة الطواغيت.

ولقد أعقب الطبري هذه الآية (وادعوه خوفاً وطمعاً) بقوله: «ولا تشركوا في عملكم لله شيئاً غير من الآلهة والأصنام وغير ذلك، وليكن ما يكون منكم في ذلك خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه. وإن من كان دعاؤه إياه على غير ذلك فهو بالآخرة من المكذبين لأن من لم يخف عقاب الله ولم يرج ثوابه لم يبال ما ركب من أمر يسخطه الله ولا يرضاه». (٣)

(١) الأنوار القدسية في مناقب النقشبندية ١٣٥.
(٢) رواه الترمذي ١/ ١٨٣ - ١٨٤ وحسنه.
(٣) تفسير ابن جرير الطبري ٨/ ١٤٧.

قلت: يرحم الله الطبري لقد صدق في هذا، فإن العبادة مع عدم الخوف تؤدي إلى قلة التقوى والإستهانة بأمر الله، ولقد أدى ذلك أن قال الشبلي: «إن لله عباد لو بصقوا على جهنم لأطفؤها» ويقول أبو يزيد البسطامي: وددت أن قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على جهنم، فسأله رجل: ولم ذاك يا أبا يزيد فقال: إني أعلم أن جهنم إذا رأتني تخمد فأكون رحمة للخلق» وقال: وما النار؟ والله لأن رأيتها لأطفأنها بطرف مرقعتي وكذلك قال: اللهم إن كان في سابق علمك أن تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقي حتى لا تسع معي غيري». [1] أما عن الجنة فقد كان يعتبرها «لعبة الصبيان». وكان ينشد قائلاً:

أريــدك لا أريــدك للثــواب ولكني أريــدك للعقــاب [2]

فانظر إلى هذا الحب المزعوم الذي يتغنى به هؤلاء وقد أوصلهم إلى الإستهانة بالجنة والنار بل وإلى الإستهزاء بهما أحياناً، وكيف ينبني هذا الحب الفارغ من دون رجاء ولا خوف، ولا عجب أن يستهزىء هؤلاء بالجنة والنار ما داموا لا يطمعون في جنة ولا يخافون من نار. أما الحب الحقيقي فهو لا يخلو من هذين العاملين فقد كان دعاء أصحاب رسول الله ﷺ «اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار». [3] بل كان هذا عين دعائه صلوات الله وسلامه عليه. [4]

وقد جمع البخاري بين الرجاء والخوف في باب واحد فروى عن رسول الله ﷺ قوله: «فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم

(١) تلبيس إبليس ٣٤١ و٣٤٣ و٣٤٦.
(٢) المواهب السرمدية ٤٥.
(٣) صحيح سنن أبي داود ص ١٢٧ باب القراءة في الظهر.
(٤) أنظر البخاري كتاب الدعوات ٧/ ١٥٩ و ١٦١ - ومسلم ح (٢٦٩٠).

ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار». [1]

وعلى مقتضى كلام رسول الله ﷺ فلا ينبغي لأبي يزيد وأضرابه من المتصوفة أن يأمنوا من النار وعذابها «إن كانو حقاً من المؤمنين».

ومن غريب أقوال أبي يزيد قوله:

إن لله عباداً لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لإستغاثوا بالخروج من الجنة، كما يستغيث بالخروج من النار أهل النار». [2]

«ولو» هذه، لا مجال لها في واقع الأمر، فالله قد وعد عباده من أهل الجنة أنهم سيرونه لا يحتجب ذلك عن أحد منهم، وقوله «لو حجبهم في الجنة عن رؤيته» عبث من القول لا ينبغي إفتراضه وإيراده، فهذا القول يصلح عند «مزدك» «وبراهما» أما عند دين الإسلام فلا يصح.

وسنفرض أن أهل الجنة إستغاثوا بالله ليخرجهم من الجنة بسبب احتجابه عنهم فإنه ما ثم إلا جنة أو نار! فأين يذهبون؟ أيتركون الجنة ويرضون بجهنم أم أن أبا يزيد يأويهم إلى خيمته التي قال أنه سينصبها بجانب جهنم؟

عشق الله؟

أما العشق الذي يتكلم عنه الصوفية، فقد فصله صاحب تنوير القلوب فقال: «إعلم أن المحبة على ثلاثة أقسام: عوام وخواص وخواص

---

(١) أخرجه البخاري في «باب الرجاء مع الخوف» ٧/ ١٨٢ ـ ١٨٣.
(٢) المواهب السرمدية ٤٩، الأنوار القدسية ٩٩.

الخواص فأما العوام فمحبتهم له تعالى لوفور إحسانه، وأما الخواص: فمحبتهم خالصة عن الشوائب. وأما خواص الخواص: فمحبتهم عبارة عن التعشق الذي به ينمحي العاشق عند تجلي نور معشوقة». [1]

لقد كان رسول الله ﷺ أكثر الناس كلهم حباً لله وهذا مما لا يشك به أحد من الناس، ولكن مما يشك به الناس أن يصل الحب بالمتصوفة إلى درجة عاشق ومعشوق فيزيد حبهم عن حب رسول الله ﷺ، فلقد كان أشد الخلق حباً لربه ولم ينقل عنه أنه كان يعشق ربه «عشقاً»! وحينما وصف الله حبه لبعض عباده وحبهم له قال: يحبهم ويحبونه» [المائدة ٥٤] ولم يقل يعشقهم ويعشقونه، وحينما أراد أن يبين حبه للذين بايعوا رسول الله ﷺ وبذلوا له أموالهم وأنفسهم وأهليهم قال «رضي الله عنهم ورضوا عنه» [المجادلة ٢٢] وقال: «لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة [الفتح ١٨]، والعشرة المبشرون بالجنة هم أحب إلى الله من سائر خلقه «إلا الأنبياء» فلم يخصهم «بعشق» ولا «حب هوى» ولكن دخلوا في جملة من رضي الله عنهم من المؤمنين الذي حاربوا في بدر وغير ذلك.

فهل طائفة النقشبندية هم أقرب وأحب إلى الله من أولئك الفضلاء الأوائل حتى يستحقوا بذلك تسمية حبهم هذا بالعشق أم أنها مجرد عاطفة عاصفة ليست مرتبطة بشرع يضبطها أو يقومها؟ ومعلوم أن إبليس لا يستغل شيئاً كاستغلاله لعاطفة هوجاء لا تقوم على أساس سليم.

وسمع أبو الحسن النوري رجلاً يقول: أنا أعشق الله عز وجل وهو يعشقني. فقال النوري: سمعت الله يقول « يحبهم ويحبونه» وليس العشق بأكثر من المحبة»... قال ابن الجوزي بعد ذلك: «فإن العشق عند أهل

---

(١) تنوير القلوب ٤٨٧.

اللغة لا يكون إلا لما ينكح».[1]

وقال القشيري: قال الدقاق: «فلا يوصف الحق سبحانه بأنه يعشق ولا العبد في صفته سبحانه بأنه يعشق فنفي العشق ولا سبيل له إلى وصف الحق سبحانه لا من الحق للعبد ولا من العبد للحق سبحانه».[2]

وإن أردت معرفة حقيقة كلمة العشق، فابحث عنها تجدها أكثر ما تجدها في كتب الغرام وقواميس العشاق والله يتنزه عن مصطلحات يكثر استعمالها عند كتاب الغرام وقصاصي حكايات الحب العاطفية والعلاقات الجنسية.

فحب الله هو حب عابد لمعبوده لا عاشق لمعشوقه! حب يتصف بالخوف من العقاب، وخوف الفتنة وسوء العاقبة، وحب يتصف بالرجاء فيما عند الله في الآخرة من الثواب، ورجاء حسن الخواتيم. لا كحب قيس لليلى، ولا كحب عنتر لعبلة!

إن حب الصوفيين لله هو حب يتخلله رقص وأنغام وسكر وتمايل على ذكر الحبيب. وهذا النوع من الحب لا إجلال فيه لذي الجلال، ولا مهابة فيه من العزيز الجبار، فهل هذا إلا حب العاشقين الذين ملأت قصصهم كتب الغراميات؟

وقد دفع ذلك البعض منهم إلى قول أبيات من الشعر الغزلي يخاطبون الله بضمير الأنثى ومن هؤلاء عمر ابن الفارض صاحب التائية المشهورة التي يخاطب فيها إمرأة وهو يرمز بذلك إلى الله (تعالى الله عن ذلك).

---

(١) تلبيس إبليس ١٧٠ - ١٧١.
(٢) الرسالة القشيرية ١٤٥.

ومن ذلك هذه الأبيات:

وَكُلُّ الجهاتِ الستِّ نحوي تَوَجَّهَتْ	بما تم من نُسك وحجٍ وعمرة
لها صَلواتي بالمقام أقيمها	وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد إلى	حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي، ولم تكن	صلاتي لغيري في أداء كل ركعة
جلت بتجليها الوجود لناظري	ففي كل مرئي أراها برؤية
وأشهدت عيني إذ بدت فوجدتني	هنالك إياها بجلوة خلوة
ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها	وذاتي بذاتي إذ تحلت تجلت
وماذاك إلا أن بدت بمظاهر	فظنوا سواها وهي منها تجلت
ففي مرة لبنى، وأخرى بثينة	وآونة تدعى بعزة عزت
وما زلت إياها وإياي لم تزل	ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

هكذا لا فرق عنده بين حبه لله، وبين حب جميل بن معمر لِلُبنى أو كُثَير لعزة. بل عنده أن الله يبدو بمظاهر مختلفة، فمرة هو لبنى حبيبة جميل، وتارة يظهر بمظهر بثينة.

فنقبوا رحمكم الله عن هذا الحب الخادع، أفيه ذرة من خشية الله؟ إن هذا الحب لا يعدو كونه عشقاً يتبادله إثنان بعيداً عن أعين الناس، إن العبادة وهذا النوع من الحب نقيضان لن يمكن الجمع بينهما بحال. إذ لا تستوي عبادة عن خوف ووجل من العزيز الجبار، وعشق لله يماثل عشق جميل لبثينة فالقوم لا يعرفون حب عبادة، إذ العبادة بنظرهم هي للمحرومين من العشق الإلهي، ولا عجب عند ذلك أن ينقل صاحب الأنوار عن رابعة قولها:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي	وأبحت جسمي لمن أراد جلوسي[1]

(١) الأنوار القدسية ٣.

فتأملوا عباد الله هذا الحب «النصراني» الذي حدا برابعة أن تبيح جسدها لكل مجالس، فهذه ليست عبادة مقرونة بخوف ورجاء وإنما هي حب مقرون بشهوة وعشق مقرون بهوى، فحاشا لله أن يُعبد بطريقة هؤلاء القوم.

خاتمة الكتاب...

بعد هذه الجولة القصيرة، أرجو من كل مريد للحق أن يقوم بمراجعة سريعة في فكره لما قرأه في هذا الكتاب، مقارناً بتلك المراجعة السريعة أحوال هذه الطريقة بما كان عليه رسول الله ﷺ، وإني واثق من أنه سيجد من الفروق بينهما الشيء الكثير.

ونحن لم نكتب هذا الكتاب لإثارة خلاف أو لإحداث فتنة وفرقة بين المسلمين كما سيظن ذلك البعض، فالأمة الإسلامية ضعيفة وممزقة كأنها قصعة قد تداعى عليها أكلتها، وإنما سوء فهمها لعقيدة الإسلام وعدم ممانعة رجال منها في دخول البدع والمحدثات في هذا الدين - هو سبب من أسباب هذا الذل والوهن. وهذا ما اضطرنا إلى تصنيف هذه الرسالة لتصحيح ما يمكن تصحيحه في عقائد المسلمين. فإننا نريد مسلمين بعقيدة إسلامية سليمة وصحيحة لا تختلف عن العقيدة التي حملها أصحاب رسول الله ﷺ.

ولا نريد مسلمين بعقيدة قد حملت من مخلفات الملل والمذاهب الأخرى ما هب ودب! فلا نريد مسلمين قد تأثروا بالمزدكية أو الغنوصية أو المجوسية أو غير ذلك.

وأفضل مثل يضرب في ذلك هو تأخر المسلمين عن النصر الذي كان بسبب إهمالهم لإستعمال السواك - ذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه - فكيف يريد المسلمون اليوم النصر من الله. وهم قد لطخوا

مفهوم الإسلام بمفاهيم وتصورات غريبة قد إستصدروها من المذاهب اليونانية، والتعاليم الهندوكية والبوذية؟

فليس البحث هنا هو دعوة إلى الفرقة بقدر ما هو دعوة للرجوع بالعقيدة إلى ما كان عليه السلف الصالح من صحابة وتابعين وأئمة، لأننا نؤمن أن سلامة المعتقد هو سبب من أسباب النصر، ونحن واثقون بأننا سنتفق فيما بيننا إن عدنا إلى أخذه من مصدره الأول ـ أعني الكتاب والسنة ـ ولن يحصل هذا الإتفاق إن إستمسك أحدنا بما استحدثته له هذه الطائفة وتلك الطريقة، وما المانع من الرجوع في كل أمر إلى الإسلام من مصدره؟ أليس من الحكمة أن يتنادى المسلمون فيما بينهم إلى كلمة سواء بينهم ألا يأخذوا إلا من كتاب الله وسنة رسوله، ولا يقبلوا بابتداع شيء في الدين لأن الكمال في الدين ينافي الإبتداع فيه. ولأن البدعة هي الزيادة في الشيء، وهذه الزيادة في الدين تكذب قوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا».

ولذلك فقد صدق أحد السلف حين قال: «كل عبادة لم يتعبدها رسول الله ﷺ فلا تعّبدوها. وقول مالك رضي الله عنه: «من ابتدع في الدين بدعة وكان يرى أنها حسنة فقد زعم أن محمدا ﷺ قد خان الرسالة! إقرأوا إن شئتم قوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا». فما لم يكن يومئذ دينا، لا يكون اليوم دينا، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها».

فالرسول ﷺ قد بلغ، والله تعالى قد أكمل وأتم. وفي الحديث المروي عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «ليس من عمل يقرب إلى

الجنة إلا قد أمرتكم به، ولا عمل يقرب إلى النار إلا قد نهيتكم عنه». (١)

فما الفائدة بعد ذلك من إبتداع رجل في الدين إلا أن يكون أحرص من رسول الله ﷺ على أمته فيما يدخلهم ويقربهم من الجنة، أو أخوف منه على الأمة مما قد يقربهم إلى النار فسيتدرك عليه ما يقربهم في هذه ويبعدهم عن تلك، وهذا لسان حال البدعة فإنها تنادي باستدارك وإكمال شيء غاب عن الله ورسوله ولو لم يكن ذلك مقصود المبتدع. فإنها تؤدي إلى ما ذكرنا، نعوذ بالله من البدع.

فالغضب الغضب أخي للكتاب والسنة لا لفلان قدس الله سره ولا لفلان قدس الله روحه، فإن محافظتنا على الكتاب والسنة هو تقديس لهما، فعليك بتقديس الدين بالغيرة عليه، لا بتقديس رجال حالهم كحال باقي البشر (يخطئون ويصيبون)! هذا ما أردت بيانه، وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يشرح صدورنا للحق، وأن يرزقنا التمسك بكتابه وسنة رسوله ﷺ وترك الإبتداع فيهما إنه سميع مجيب.

حرر في ١٨ شعبان ١٤٠٤هـ

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤ والمنذري في الترغيب ٣/ ٧ ونسبه للحاكم، والطبراني في الكبير ٢/ ١٦٦ والهيثمي في المجمع ٨/ ٢٦٤ بلفظ آخر، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد القرى وهو ثقة، ورواه الشافعي في الرسالة رقم ٢٨٩ وفي مسنده ٨٠.

الفهرس